مجلة البيان – العدد 57 ، جمادى الأولى 1413هـ / نوفمبر 1992م

كلمة صغيرة

إن مجلة البيان مجلة لها منهج ، ونحرص أن تكون تعبيراً عن هذا المنهج ، ومن منهجها أن تسد مقالاتها والفكر الذي ينشر فيها زاوية في واقع المسلمين ، ونحاول الوفاء بذلك قدر ما تسمح لنا الظروف المحيطة بنا ، ورأس المال الذي نعتز به ونلجأ إليه دائماً هو قراؤنا الذين يحملون هذا العبء معنا ، ولنا في مشاركتهم وتشجيعهم وتقديرهم لقدراتنا وإنصافهم وعذرهم مـا يهـوِّن علينا الصعوبات ، ويمدنا بالعزم وقوة الإرادة. وعندما تقوى هذه الصلة بين المجلة وبين قرائها نكون قد حققنا شيئاً من النجاح وتذوقنا لذته.

الـمـحــرر

الافتتاحية

الحذرَ الحذرَ من أعداء الإسلام

عبد القادر حامد

ظنَّ كثير من أعداء الله أن المسلمين لن تقــوم لهم قـائـمـة بعـد نشوة الانتصار التي حققها الغربيون على المسلمين ، فأزالوا تأثيرهم السياسي من الوجــود، وقـضوا على آخر طلل من أطلال قوتهم - وهو الدولة العثمانية - وبينما ينظر هؤلاء بالنظر البشري القاصر ؛ ويزنون الأمر بميزان اللحظة العابرة ؛ فإن المسلم له ميزان آخر وتقويم مختلف، وهذا الميزان وذاك التقويم مستمد من عقيدته التي يستقيها من قرآن ربه وحكمة نبيه، فـهـو يعـتـمد أن الأيام دول ، وأن الحق غالب إن حمله من يؤمن به ويثبت عليه ، وأن الله ناصر دينه بعز عزيز أو بذل ذليل ، وأنه تعالى ((أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ الـسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً ومِـمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَـاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الـحَــقَّ والْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّــا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ)) [الرعد:17].

وبعد أن ظــن أعـــداء الإسلام أن الارض قد خلصت لهم ؛ وأن لا أمل من عودة الروح إلى جثة هذا الجبار المجندل الذي يسمونه - علي مضض -

»العالم الإسلامي«؛ يفـاجئـون بأن ما حسبوه قد أصبح جـثــة هامدة لم يمت حقيقة ، وعلامات حياته تشاهد في كل مكان.
ومن أظهر هذه العلامات مـا شـهــده الـعـالم على أرض أفغانستان ، حيث عجز جبروت الشيوعية أن يخضع هذا الشعب الفقير - إلا من العزة الإيمانية - فخرج الروس وأذنابهم يجررون أذيال الهزيمة والخيبة ، بل ولم تقم لهم قائمة لا في أفغانستان وحدها ؛ بل على المسرح العالمي بأسره.
بعض المرجفين من أنصار الشيوعية في بلادنا ، وأخوانهم من العلمانيين وأعداء الإسلام ، على كافة ألوانهم ؛ يتمضَّغون بكلمات تهوينية ، وإشاعات تخذيلية ، من أن الأفغان لم ينتصروا إلا بالسلاح الغربي الذي أمدتهم به أميركا، ليخلصوا إلى نتيجة تقول: إن الغرب وأميركا والرأسمالية هي التي انتصرت على الشيوعية ، وليس الإسلام.
وهذه دعوى عملاء الغرب في بلادنا!
أو أن الإسلام كان وما زال عميلاً لأميركا ، وهذه دعوى أيتام الشيوعية في بلادنا!
ونحن نقول: إن بلاد الـمـسلـمـيـن بمصادرها وثرواتها أصبحت مجالاً حيوياً يستغله غـيـر المسلمين لمصالحهم ، وعندما نقــول »ثروات« لا نعني البترول والمعادن والثروات الاقتصادية وطرق المواصلات فحسب ؛ بل نعني كل ما تذخره هذه الأرض الإسلامية من أفكار وعقائد وأموال. إن الغربيين يسخِّرون كل شيء ليجنوا من ورائه الأرباح المادية ، فيصنعون الأفكار ويعيدون تعليبها كما يعلِّبون الفـواكــه والخضار والأدوية ، ويستثمرون العادات ويتاجرون بالمآسي والكوارث كما يتاجرون بالمواشي والمواد الخام ولذلك فلا يستغرب المسلم الحصيف استغلال هؤلاء لكل شيء ، حتى الإسلام ، كعقيدة ودين ، والمسلمين ، كبشر من لحم ودم وعواطف ومشاعر.
وإذاً؛ فلا يجادل المسلم العاقل في حرص القوى الخارجية على استثمار الأزمات والكوارث التي تحل بالمسلمين ، بل لا يجادل في أن أكثر هذه الأزمات والكوارث هي من صنع هؤلاء ومن اختراعهم، ولكنه يعترض على أن يُجَرَّدَ من كل جهد نافع،وتغتصب منه تضحياته، وتسرق منه نتائج جهاده بهذه الأساليب الخبيثة، إن الـسـلاح عـنصــر مهم في معادلات النصر والهزيمة ، ولكنه في النهاية ليس هو الذي يحسم ، بل الحاسم هو الإنسان الذي يستعمله. والذين يشيعون أن السلاح هو كل شيء يمهدون الطريق لهمينة صانعي السلاح ، ويقـتـلـون الإرادة الإنسانية والعزيمة الجهادية في صدور المسلمين، فيسلس قـيـادهـم لـكـل طامع، ويضيفون - إلى إيمانهم بالحق الأزلي - إيماناً باطلاً بديمومة الباطل.
وأما أن الـمسلمـيـن عملاء لأميركا فهذه فِرية ساقطة، لا لسقوط أصحابها فحسب ؛ بل لما يشاهده الناس من تحامل أميركا على المسلمين ، وخذلانها

قضاياهم المصيرية الحقيقية في كل مكان : في فلسطين ، وفي أفغانستان نفسها ، وفي البوسنة والهرسك.. وأما ما يشاهده المتابع للأحداث مما يحدث في أفغانستان ، من خلافات ومعارك بين فئات الأفغان فهذا أيضاً من دلائل هذا الدين وعلامات صدق محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد أخبر -صلى الله عليه وسلم- أن الخلاف الذي يقع في أمتي من السنن الكونية ، ففي صحيح مسلم ، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال : »سألت ربي ثلاثاً ، أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة(1) فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها«(2). وعلى هــذا فنفي الخلاف بين المسلمين أو تجاهله مكابرة ، ولكن من الظلم أيضاً تضخيم هذا الـخــلاف ، وجـعـلـه علامة فارقة للمسلمين ، وشيئا ميؤوساً من علاجه وتخفيف آثاره ، وكلما ابتعد الناس عـن تعالـيـم الـنـبـوة ، وحكموا بينهم الأهواء والعصبيات والشهوات ، تظالموا واعتدى بعضهم على بعض ، وكلما ثابوا إلى نور النبوة ، واهتدوا بهدي الإسلام الصحيح ضاقت بينهم شقة الخلافات ، واتجهت طاقاتهم إلى دحر الكفر وأعوانه ، ونصر الحق وتثبيت أركانه.

هذه من جهة، ومـن جهـة ثانـيـة فـلـو تـرك الأفـغــان دون تدخل خارجي لضاقت شقة الخلافات بينهم ، ولكن أصحاب مصالح كبار يتجاذبونهم ، فأمريكا من جهة ، وباكستان من جهة ، وإيران من جهة ، وروسيا من جهة ، وزيد من جهة ، وعبيد من جهة! كل يريد أن يكون له حظ من هذه الفريسة التي لا يمكن أن تشبع الجميع.

إن كل هذا التشويش والشغب في وجه المسلمين لا يقصد منه إلا أن لا يفكروا في شيء اسمه : »جهاد« وأن يرضوا بواقعهم ، ولا يطمحوا إلى التغيير والتحسين ، ولماذا يُعَنُّون أنفسهم هذا العناء ؛ وغيرهم يصنع لهم ، ويزرع لهم ، ويجاهد لهم ، ويفكر عنهم ولهم؟! إن رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- قال : »بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي ، وجُعِلَ الذل والصَّغارُ على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم«(3).

ماذا يفعل المسلمون بهذا الحديث؟ هل نسخ العمل به؟ ما الناسخ له؟ هل يفكرون في مضمونه ويعرضون واقعهم عليه؟ وهل ينظرون إلى الأمم التي يتحدر منها هؤلاء المرجفون وأعوانهم ؛ أليس سلوكهم وأعمالهم على المسرح العالمي تطبيقاً لهذا الحديث؟!

هذه هي الولايات المتحدة ودول أوربا تقيم من القواعد العسكرية لحراسة مصالحها = أي سلب الشعوب حقوقها المادية والمعنوية ؛ وتحرك أساطيلها وجيوشها عندما تشعر بأدنى تهديد لهذه المصالح المدَّعاة ، ونحن - المسلمين - نُتَخَطَّفُ من أرضنا ، بل وتسحب هذه الأرض من تحت أقدام أولادنا وبناتنا ونسائنا ، ويطلب منا أن : دعوا الاعتراض ، وإياكم وما يسمى بالجهاد ، بل

دعوا مجرد التفكير فيه! ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- يقول : »من مات ولم يغز ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق«(4) ، ويقول أيضاً : »ستفتح عليكم أَرَضون ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه« انظر إليه -صلى الله عليه وسلم- كيف يحض المسلمين أن يلهوا ويلعبوا وقت السلم بأدوات الحرب ، حتى لا ينسوا الجهاد ويخلدوا إلى الدنيا ، فتضعف همتهم ، ويكونوا لقمة سائغة للضواري من البشر.
إن أوضاع المسلمين اليوم من الحساسية بقدر لا تسمح لعرض هذه الأفكار على الناس ، ويجد كثير من المتخوفين فيها سبباً لكتمان الحق وتضليل المسلمين ، وإننا لسنا من المتعجلين ودعاة الفوضى ، الذين يتجاهلون الأخذ بالأسباب الصحيحة لتغيير واقع الأمة ، وطموحنا إشاعة الفكر الجهادي المضبوط بالعلم الصحيح والرأي السديد بين الأفراد والجماعات وإن إشاعة هذا الفكر سيكون دواء لكثير من الأمراض الاجتماعية المتفشية ، كما ستكون خيراً للمسلمين على كل حال ، في الشدة والرخاء ، وفي دنياهم وآخرتهم.
وإذا كان من الصعوبة بمكان تنفيذ الجهاد بمعناه المتبادر - وهو جهاد الكفر وأعوانه بالسلاح - لما لا يخفى من فقدان الأسباب لذلك - وأهمها الإرادة والعزيمة - فإن أمامنا أبواباً كثيرة تمهد لذلك ، وقد لا تقل عنه أثراً مثل : الجهاد بالمال ، وإعانة المسلمين الذين يلاقون العسف والجور ، وتفرض عليهم الفتنة في دينهم فرضاً ، ويدفعون عن بلادهم ، ويجردون من أموالهم ، وكذلك الجهاد في نشر العلم ، والوعي في صفوف المسلمين ، وتجميعهم على دين الله ، وإقامة المؤسسات القوية الدائمة التي تخدم ذلك. وإن أضعف. الإيمان أن نحدث أنفسنا بالغزو ، فمن يدري ماذا يخبئ لنا الغد ، إن ما حولنا من أحداث يجعل هذا من أوجب الواجبات ، وتجاهله والسكون إلى الراحة والحياة السهلة انتحار ما بعده انتحار.
إن هؤلاء الصرب الصليبيين المتوحشين كانوا يُعِدُّون لهذه الأفاعيل التي فعلوها بالمسلمين منذ زمن بعيد ، وكان في أحداث تاريخهم القريب عبرة وأي عبرة للمسلمين ، ولكن - يا للأسف - إن المسلمين يعيشون دائماً ضحية الساعة التي هم فيها ، وتفكيرهم بالماضي ليحتاطوا من أحداثه للمستقبل قليل ، وإن كثيراً من أبناء جلدتنا ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يعتقد (ولا يظن) أن أوربا قد ودعت الهمجية منذ قرون وتحضرت ، بل هي الآن تعلّم العالمين الحضارة! بل إذا ضربت له مَثَلَ الصرب لوى شدقه وقال : الصرب وليس باقي الشعوب الأوربية ، وماذا يشكل الصرب بالنسبة لأوربا؟ ولو فكر قليلاً لعلم أن الذي يرى المذابح والكوارث أمام عينيه ولا يهتز لها ويهب لمنعها - وهو قادر - أشد وحشية وأَمْوَتُ (5) قلباً ممن يرتكبها!
لا نـريــــد الاسترسال في وصف حدث من أحداث الساعة تتحدث عنه وسائل الإعلام كل يوم؛ وإنـمـــا نقول للمسلمين في كل مكان : في الأقاليم الرخية ،

وفي الأقاليم المنكوبة ، في المناطق التي هم فيها أغلـبـيــة، والأخـــــرى التي هم فيها أقلية. حيث يسوسون أمورهم ويستقلون بشؤونهم - ولو افتراضياً - وحـيـث يـسـاســـون مـن قبل غيرهم بسياسة العصا الغليظة ، ويضربون ضرب غرائب الإبل(6).
إياكم ونسيان أن العدو متربص بكم من كل جانب ، بل كونوا على ذكر أنكم مخترقون من داخـلـكـم، وتُصِمُّ لأسماعَكم أصــواتُ النفاق والمنافقين ، ويزيدكم ضعفاً إلى ضعفكم إرجاف العلمانيين الحاقدين. حدثوا أنفسكم بالغزو والجهاد ، فلعل الله ينظر لكم ، ويرحمكم بما يرحم به عباده ، حيث يختار لـهـــم ما قد لا يمر لهم ببال. من كان يظن أن الله سيمحو الشيوعية ويفكك دولتها دون أو يُوجَفَ عليها خيل ولا ركاب؟! ولو توقع ذلك المسلمون - من كانوا تحت نير الشيوعية ومن كانـوا غـيـــر ذلـك - وأعدوا له عدته ؛ أما كان حالهم سيكون أفضل وأحسن؟! الحمد لله على كل حال ، يحفظ دينه ، ويؤيده بعز عزيز أو بذل ذليل ، نسأله أن يعز دينه ، وينصر عباده ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الهوامش :

1 - القحط .
2- الحديـث مـــروي بألفاظ متقاربة عن: معاذ، وثوبان، وخالد الخزاعي، وخـبـــاب بـن الأرتّ، وابن عمر. ولتخريجه راجع: منهاج السنة 6/230 تحقيق محمد رشاد سالم.
ومسند أحمد (ط الحلبي) 5/247، (ط المعارف) 3/60-61، 86 ، صحيح مسلم 4/2215-2216 ، صحيح الجامع الصغير 2/309-310 ، سنن الترمذي 3/319-320.
تفسير ابن كثير، سورة الأنعام، آية :65، فقد استقصى رواياته كلها تقريباً.
3- الحديث مخرج في : إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل رقم 1269 .
4 - صحيح مسلم بشرح النووي 13/56، وقـال الـنـووي: إن تـرك الجـهــــاد أحد شعب النفاق، وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجــه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها.
5- لا يصــــاغ اســــم التفضيل وفعل التعجب من الفعل : (مات) لأنه غير قابل للتفضيل والتفاوت ، لأن المـوت واحد ، وإنما تختلف أسبابه. إلا إذا أريد بالموت الضعف أو البلادة وقلة الحسّ مـجـــازاً كمثلنا هنا فيجوز أن نقول : فلان أموت قلباً من فلان ، وما أموت قلبه!
6- مأخوذ من قول الحجاج : (.. ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل). قال ابن الأثير: هـذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته ، يهددهم ، وذلك أن الإبل إذا وردت

الماء ؛ فدخلــت عليها غريبة من غيرها ، ضربت وطردت ، حتى تخرج عنها. (لسان العرب)

فطر الله الخلق على الحق

عثمان علي حسين

معنى الفطرة في اللغة(1):

الفـطرة من فطر الشيء، يفطره فطراً، فانفطر، وفطره، أي شقه، وتفطر: تشقـق، فالفـطـر: الشق. وجمعه: فطور، ومنه فطر ناب البعير، إذا طلع، وفي التنزيل قولـه (تعالـى): ((إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ))[الانفطار:1]، أي انشقت، وفي الحديث: عن عائشة (رضي الله عنها): »أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه...«(2).

وفطر الله الخلق، يفطرهم : خلقهم وبدأهم ، فالفطر - أيضاً -: الابتداء والاختراع ، كما قال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ))[فاطر:1] أي خالقهما ومبـتـدئهـما(3)، وكما قال ابن عباس (رضى الله عنهما): »كنت لا أدري ما ((فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ)) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما: أنا فطرتها ، أنا بدأتها«(4).

والفطرة - أيضاً -: الخلقة ، أنشد ثعلب :

هـون عليك: فقد نال الغنى رجــل   في فطرة الكلب، لا بالدين والحسب

أي في خلقة الكلب.

فأصل كلمة »فطر« يرجع إلى التشقق، والابتداء، والخلـق، والـمـعـنـيـان الأخـيـران (الابتداء والخلق) يناسبان المعنى الاصطلاحي ، كما سيتبين ذلك.

معنى الفطرة في الاصطلاح :

وردت لفظة »الفطرة« مصدراً في القـرآن الكريم في آية واحدة هي قوله (تعالى): ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَـطَـرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [الـروم:30]، وإن كان أصل الكلمة قد ورد بصيغ أخرى - غـيـر صـيـغـة الـمـصـدر - في آيات كـثيرة ، ترجع معانيها إلى الخلق والابتداء والتشقق ، وهي معانيها اللغوية - كما تقدم -.

أمـا السـنـة ، فـقـد ورد لفظ »الفطرة« مصدراً في أحاديث كثيرة ، أشهرها حديث أي هريرة (رضي الله عنه) قــال : »قــال النبي -صلى الله عليه وسلم- كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء«(5) وفـي رواية قال أبو هريرة (رضي الله عنه) في آخر الحديث : »اقرؤوا إن شئتم: ((فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ))[الروم:30](6).

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالفطرة المذكورة في الآية، وفي حديث أبي هريرة خاصة(7) على مذاهب ، أذكر الصحيح الذي تسنده الأدلة : وهــو أن الفـطـرة الإسلام ، وهو أشهر الأقوال وأصحها وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل (8). واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها:
1- قوله (تعالى): ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَـلْـقِ اللهِ ذَلِـكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [الروم:30]، قال الحافظ ابن كثير في معناها: »فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ، ملة إبراهيم، التي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنـت مــع ذلـك لازم فـطـرتـك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فالله (تعالى) فطهر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره«(9).
وقال الضحاك في معنى حنفاء: »أي حجاجاً« وقال الحسن : »الحنيفية : حج البيت« وقال مجاهد: »مسلمين متبعين« ، قال أبو عمر: »وهذا كله يدل على أن الحنيفية الإسلام« واستدل بقوله تعالى : ((ولَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً))[آل عمران: 67] ، وقول الشاعر (وهو الراعي النميري):

أخليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلاً
عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلاً تنزيلاً(10)

وقال أبو عمر: »الحنيف في كلام العرب : المستقيم المخلص ، ولا استقامة أكثر من الإسلام«(11).
و»فطرة« منصوبة بفعل مقدر ، أي اتبع فطرة الله ، وقيل منصوبة على المصدرية التي دل عليها الفعل الأول (أقم) ومعناها: فطر الله الناس على ذلك فطرة ، وعلى كل تقدير تكون إقامة الوجه حنيفاً وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وأن ذلك مأمور باتباعه إما صراحة ، أو تلميحاً ، لأنه جاء في صيغة مدح.
قوله : ((لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)) ذكر ابن كثير (رحمه الله) أن للعلماء في تأويلها قولين:
الأول : أنها خبر بمعنى الطلب ، أي لا تبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم ، ثم قال الحافظ : »وهو معنى صحيح«.
الثاني : أنها خبر على بابه ، وهو أنه (تعالى) ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلَّة المستقيمة ، لا يولد أحد إلا على ذلك ، ولا تفاوت بينهم في ذلك ، وهذا هو ظاهر النص(12).
وعقد الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه : باب : لا تبديل لخلق الله : لدين الله ، (خلق الأولين): دين الأولين ، والفطرة الإسلام ، ثم روى حديث أبي هريرة - بعد الترجمة - ما من مولود إلا يولد على الفطرة.. الخ(13).

وصنيع البخاري - هذا - يدل على أن الفطرة عنده الإسلام ، في الآية والحديث جميعاً .
وقال ابن عباس والنخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد في قوله تعالى : ((لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)) أي لدين الله(14).
وقوله تعالى : ((ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ)) قال ابن كثير: »أي التمسك بالشريعة والفطرة المستقيمة ، هو الدين القيم المستقيم«(15).
2- حديث أبي هريرة : »كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء«، وفي رواية : »تنتج بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء« ، ثم يقول أبو هريرة : »اقرؤوا إن شئتم ((فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ)) . وفي رواية سألوه عن أطفال المشركين ، أي من يموت منهم صغيراً ، فقال : »الله أعلم بما كانوا عاملين«.
ودلالة هذا الحديث على أن الفطرة الإسلام من وجوه :
الأول : الروايات المختلفة الألفاظ المتفقة المعاني ، مما يجعل بعضها مفسراً لبعض ، مثل : »ما من مولود يولد إلا وهو على الملة«(16) ، وفي أخرى : »إلا على هذه الملة«(17).
الثاني : قول أبي هريرة في آخر الحديث : »اقرؤوا إن شئتم ((فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ)) مما يبين أنه فسر الحديث بالآية ، وقد أجمع العلماء على أن المراد بالفطرة في الآية الإسلام (18) ، وتفسير الراوي له قيمته في هذا المقام ؛ لأنه أعلم بما سمع.
الثالث : سؤال أبو هريرة عن رجل عليه رقبة مؤمنة ، أيجزىء عنه الصبي أن يعتقه وهو رضيع ، فقال : »نعم ، لأنه ولد على الفطرة« يعني الإسلام(19).
الرابع : قال ابن شهاب الزهري : »يصلى على كل مولود متوفى وإن كان لِغِيَّةٍ ؛ من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام«(20) وأفتى الزهري رجلاً عليه رقبة مؤمنة أن يعتق رضيعاً ، لأنه ولد على الفطرة(21).
الخامس : قال الإمام أحمد (رحمه الله): »من مات أبواه وهما كافران حكم بإسلامه« واستدل بحديث : »كل مولود يولد على الفطرة..« فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام (22).
السادس : ذكر الحديث التغيير لملل الكفر دون ملة الإسلام ، فعلم أنه يتحول عن الإسلام إلى غيره ، بفعل الأبوين ، أو غيره.
السابع : قوله في الحديث : »هل تحسون فيها من جدعاء«.أي أن البهيمة خلقت سليمة ، ثم جدعت بعد ذلك ، فكذلك الولد يولد سليماً من الكفر ؛ مؤمناً مسلماً ، ثم يطرأ عليه الكفر بعد ذلك ، فالعيب الذي طرأ على البدن ، يقابله العيب الذي طرأ على الدين ، وهو الكفر.

الثامن : لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام ، لما سألوا عقب ذلك عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير ؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوه ، والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير.

3- حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه وفيه : »وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأَمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً..«(23) وتقدم تفسير الحنيف بالمستقيم المخلص ، وأنه لا استقامة أكثر من السلام.

4 - الفطرة الإسلام ، وهو قول عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والنخعي ، والضحاك وقتادة(24).

المعترضون على تفسير الفطرة بالإسلام :

لخص أبو عمر اعتراض المنكرين على تفسير الفطرة بالإسلام ، في أن الإسلام والإيمان : قول ، واعتقاد ، وعمل ، وهذا معدوم من الطفل ، لا يجهل ذلك ذو عقل(25).

والجواب : مما ينبغي علمه أنه إذا قيل كل مولود يولد على الفطرة ، أو على الإسلام ، أو على هذه الملة ، أو إنه خلق حنيفاً ، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلــم هذا الدين ويريده ، فإن الله تعالى يقول : ((واللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَـعْـلَـمُـونَ شَيْئاً...)) [النحل:78] ، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام ، ومحـبـتـه ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه، ومحبته وإخلاص الدين له ، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً فشيئاً، بحسب كمال الفطرة، واستعدادها، وسلامتها من المعارض؛ فـكـــــل مولود يولد على الإقرار بفاطره ، ومحبته والإذعان له بالعبودية ، فلو خُلِّيَ وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره ، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، كـمـــــا قال تعالى: ((الَذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)) [طه:50]، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتدياً إلى حب ما ينفـعــه وجَـلْـبِــه ، وبـغــض ما يضره ودفعه ، ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئاً فشيئاً، بحـسـب حـاجـتــــه ، لكن قد يعرض لبعض الأبدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحـة ، وهكذا ما ولد عليه من الفطرة ، ولهذا شبهت الفطرة باللبن ، بل كانت إياه في تأويل الرؤيا ؛ وذلك لما عرض على النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء اللبن والخـمـــر، فاختار اللبن، فقيل له: »أصبت الفطرة، أو هـديـت الفـطـرة«(26)، فمناسبة اللبن لبدنه، وصلاحه عليه، دون غيره، كمناسبة الفطرة لقلبه ، وصلاحه بها دون غيرها(27).

الهوامش :

1- انظر لسان العرب 5/55-56 ، مادة فطر.

2- رواه البخاري في صحيحه 8/584 ، رقم 4873.
3-انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي 14 /319.
4- تفسير ابن كثير 6/519ط الشعب.
5-رواه البخاري في صحيحه 3/245-246، رقم 1385.
6- صحيح مسلم 4/2047 رقم 2658.
7- لأن هناك أحاديث ذكرت فيها الفطرة ، ولم يختلفوا في أن المراد بها الإسلام ، مثل حديث : »الفطرة خمس (أو خمس من الفطرة): الختان والاستحداد ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب« رواه مسلم في صحيحه 1/ 221 رقم 257.
8- انظر: تجريد التمهيد: ص 297، ودرء تعارض العقل والنقل 8/ 410 ، وشفاء العليل ص 383 وما بعدها.
9- تفسير القرآن العظيم 6/320 (طبعة الشعب).
10- انظر: تجريد التمهيد ص : 299.
11- انظر: درء تعارض العقل والنقل 8/369 ، 370.
12- انظر: تفسير القرآن العظيم 6/430 (مطبعة الشعب).
13- صحيح البخاري 8/512 ، حديث رقم : 4775.
14-15 انظر: تفسير ابن كثير 6/322 (طبعة الشعب).
16-17 صحيح مسلم 4/2038، رقم 2658.
18- حكاه أبو عمر في تجريد التمهيد ص : 297.
19- انظر: تجريد التمهيد ص :300.
20- رواه البخاري في صحيحه 3/219 رقم 1358 وإن كان لغية ، أي من ولد الزنا.
21- انظر: تجريد التمهيد ص : 300.
22 - انظر: فتح الباري 3/248.
23- مسلم 4/2197 ، 2198 ، رقم 2865 .
24- انظر: تجريد التمهيد ص : 298.
25- انظر المرجع السابق ص : 300.
26 - صحيح البخاري 6/476 رقم 3437.
27- انظر: درء تعارض العقل 8/383-384.

تربية

الحركة التعليمية في فلسطين والسقوط في فم الأفعى

سليم عبد الرحمن الزغل

قبل الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967م كانت. هذه المناطق تخضع للحكم الأردني والحكم المصري ؛ فكانت غزة تتبع الحكم المصري تعليمياً ، وكانت الضفة الغربية تتبع الحكم الأردني تعليمياً كذلك؛ وكانت الجهة صاحبة الشأن في ذلك في الضفة الغربية مثلاً - هي وزارة التربية والتعليم ؛ هـكـذا سميت دائماً ، ولو أنه كان يطلق عليها (وزارة المعارف) في بواكير الحركة التعليمية في الأردن وفلسطين؛ إذن التربية قبل التعليم؛ هكذا استمر الشعار مرفوعاً من الجميع ؛ لأنــــه مطلب ينسجم مع الفطرة ويتلائم تماماً مع معايير العقول مهما اختلفت توجهاتها وتباينت مشاربها ، إذ ما قيمة العلم والعلماء إذا ما انحطت الأخلاق وديست القيم وتبددت المروءات، فـهـذا هــو الـمـربي الأول وأستاذ الأمم وكأني بصوته لا زال يدوي في سمع الزمن (إنما بعثت لأتمم مـكـارم الأخلاق) ، ولقد زكاه ربه مادحاً له بقوله ((وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))، عليه الصلاة والسلام.
مـن أجــل ذلـك كانت التربية أولاً ثم يأتي التعليم ، وبهذا المفهوم تخرجت الأجيال من مدراس فلسطين، حـيـث كــان الـرجـل منهم أستاذاً في مكارم الأخلاق قبل أن يكون عالماً متخصصاً ، وتمضي السنون ويأتي عام 1967م وينتكس العرب - وما أكثر انتكاساتهم - وتدخل البلاد في فم الأفعي ويبدأ التخطـيـط الصـهـيـوني الـمـاسـوني بجعل (قلاع التربية والتعليم) أوكاراً خاوية من كل المعاني التي لا تصنع الرجولة والرجال ، وجندوا لذلك كل الطاقات وسخروا له كل مكرهم وخبثهم ، وبدأ الصرح يهوي ويتردى .. ولا زال يهـوي ، ولـكــن لدينا إيمان راسخ لا يتزعزع كالشم الرواسي بأنه لابد أن يعود أقوى مما كان رغـم السدود.. رغم العواصف والقيود.

أهم الأسباب ..
التي أدت إلى دخول التعليم في المناطق المحتلة في نفق مظلم :

1 - ربط أركــان الـعـمـلـية التعليمية برمتها بالمخابرات الإسرائيلية (الشين بيت) ، لأنها مسألة تتعلق بتربية الـنشء وتنشئة الجيل ، لذلك حرص الحكم الإسرائيلي على الإمساك بكل خيوطها منذ البداية ، ليوجه النشء حسبما يريد وكيفما يشاء ، فالمسؤول عن التعليم ضابط عسكري، والجهة صاحبة الاختصاص هي (إدارة شؤون التعليم) وهي إدارة عسكرية كل أقطابها من الضباط العسكريين.
2- تعديل المناهج الدراسية واستحداثها وفق خطة صهيونية خبيثة ترمي إلى :
- تشويه التاريخ الإسلامي.
- النيل من عظماء الأمة وروادها وصانعي مجدها وعزتها بتجاهلهم أو بتشويه شخصياتهم بصورة خفية - في أذهان النشء.

- 0 المبادرة إلى حذف الآيات القرآنية في مختلف المناهج التي تتطرق إلى الحديث عن اليهود وكشف عقيدتهم وبيان مواقفهم والتنديد بها.
- 0 العبث بالخرائط المنهجية بطريقة تخدم الرؤية الصهيونية ، فقد استبدل اسم إسرائيل باسم (فلسطين) وتم إطلاق أسماء يهودية على مناطقها - تكون بديلة للعربية - مثل يهودا والسامرة ، وكذلك استبدال أسماء مدن فمثلاً القدس أصبحت (أورشليم) ونابلس (شكيم) والخليل (حبرون) وطولكرم (كفار شالوم) وأريحا (أريحو) على غرار مناطق احتلال عام 1948م فقد اسقطت الأسماء العربية برمتها هناك ، حتى إن الجيل الناشئ هناك لا يكاد يعرف شيئاً عن أسمائها العربية إلا النزر اليسير ، كما تم العبث بحدود دول المنطقة في تلك الخرائط.
- 0 مسخ المناهج التي تدرس التربية الإسلامية لطلاب المدارس بصورة غثة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا تحقق المستوى الأدنى من المعرفة لطالب ينتمي للإسلام ، فيتخرج طالب المرحلة الثانوية وهو أمي من الناحية الدينية !؟

3- انتشار التصرفات الفوضوية وغياب قواعد الأخلاق من المدارس وساحات الدرس ، الأمر الذي أدى إلى غياب الاحترام والتقدير والتبجيل التي كان يحظى بها المعلم فيما مضى ، فمع قدوم الاحتلال إلى البلاد أشيع فيما أشيع من الأمور أن التأديب المتمثل بالضرب (غير المبرح) وتخويف الطالب أياً كان نوعه ممنوع بل يعتبرونه جريمة نكراء وكذلك (تأنيب الطالب وزجره وتقويمه) يعتبر من الممنوعات والمحظورات ، فأدى كل ذلك إلى بدء تطاول الطالب على المعلم وتحديه في ساحات الدرس وخارجها! وكم من معلم ضُرب واعتدي عليه في داخل المدرسة أو خارجها ، فغابت هيئة المعلم أو كادت ، الأمر الذي نجم عنه انحطاط وتقويض أسس التربية وقواعد الأخلاق التي كان يتميز بها شعب فلسطين منذ القدم ، وصار من الأمور البديهية أن يمثل المعلم أمام القضاء المتعفن لأن الطالب قد شكاه ومرد كل ذلك إلى التحريض الخفي والمبطن الذي يمارسه الإعلام اليهودي من خلال وسائله المختلفة ، والإعلام العربي المحلي المهزوم.

4- بروز ظاهرة العمالة الطلابية في المصانع والمعامل والمزارع والمنشآت اليهودية ، فمع قدوم الاحتلال بدأ الترويج لفكرة العمل في المنشآت داخل الخط الأخضر ، ولما كان الناس في أحرج الظروف وأقساها في المخيمات وغيرها ، ولا يجدون أمامهم إلا مصانع إسرائيل ومزارعها ، بدأت قوافل العمال تُغِذُّ السير إلى العمل هناك في كل صباح ، وجرفت الموجة كثيراً من طلبة المدارس حيث عمدوا إلى ترك مقاعد الدرس ويممّوا داخل الخط الأخضر ، فبريق العمل هناك كان له لون آخر! نسبة كبيرة من الطلاب كانت تذهب للعمل ليلاً ، بعد الدوام المدرسي إلى ما بعد منتصف الليل ، حتى إذا عاد الى

بيته استغرق في النوم بقية الليل ونصف النهار الآتي وبهذا يكون كالقسم الأول من النتيجة ، ناهيك عن الانحراف والضياع الذي ينتظر أولئك الأغرار في المصانع والمنشآت ، حيث العمل للجنسين جنباً إلى جنب.
5- تفشي ظاهرة وهي لا تقل خطورة عن سابقتها - وهي انضمام كثير من المعلمين إلى قوافل العمل الليلي في المصانع والمنشآت الإسرائيلية ، وذلك لأن راتب المعلم غالباً لا يكفي لإعاشته وأسرته - وهي سياسة إسرائيلية لخلق القلق في نفس المعلم وغيره من طبقات الأمة - فما كان من كثير منهم إلا أن ركب الموجة والتحق بالعمل الليلي تحت ضغط الحاجة ، الأمر الذي أدى إلى انحطاط خطير في مستويات التعليم المدرسي ، فالمعلم الذي يعمل في الليل لا بد له أن ينام في النهار ، وكذلك الطالب وغالباً ما يكون ذلك على طاولة الفصل ، - فصار المرسل والمستقِبل في حالة عطب - وأشد خطورة من هذا وذاك - زمالة العمل التي صارت تربط بين المعلم والطالب في مواقع العمل ، وما نتج عنها من رفع التكليف بينهما ورفع الحواجز النفسية التي كان وجودها ضرورياً ، فصار زميل العمل في الليل هو المعلم في النهار ، وبذلك قلّت هيبة المعلم في نفس الطالب وزهد فيه.
6- عدم إسناد الوظائف الإدارية الهامة إلا لمن يرتبط بعلاقات وثيقة مع الحكم العسكري والمخابرات (الشين بيت) أو لمن يثبتون ولاءهم المطلق لتلك الجهات على أرض الواقع ، كوظيفة (مدير تعليم) أو (مدير مدرسة) أو (موجه إدارة) أو عن طريق جهات لها نفس الصلات بالحكم العسكري ، وتقوم بخدمته وفق ما يطلب ويتمنى ، وبهذا الإجراء المخابراتي المدروس ضمن الحكم العسكري أوضاع المدارس والمعاهد العلمية في حدود سياساته المرسومة والمبرمجة ، فالتقارير والوشايات وتلفيق التهم والكيد للشرفاء والأحرار تتواصل تباعاً حول مجريات الأمور في كل وقت وحين ، كما يتم بواسطة هؤلاء وأمثالهم الإبلاغ عن كل كبيرة وصغيرة تتعلق بقضايا الاحتلال الأمنية والسياسية والعسكرية وبكل صراحة ووضوح ، إلى حد التبليغ عن أسماء التلاميذ الذين يخرجون في مظاهرات! وباختصار: يقوم هؤلاء المرتزقة بتنفيذ السياسة التعليمية التي يريدها الحكم العسكري بكل دقة وانتباه.
7- تعمد المخابرات العسكرية بالتعاون مع الحكم العسكري وضباط الإدارة الرسمية لشؤون التعليم بالمناطق المحتلة ، إلى الإيقاع بعدد كبير من المعلمين في حبائل المخابرات (الشين بيت) وعملائها ويتم برمجتهم كشبكة معلومات واسعة الانتشار لتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات المختلفة عن المعلمين والطلاب في كافة المناطق ، وهذا يضمن للحاكم العسكري أكبر قدر ممكن من الاختراق السهل واليسير للعملية التعليمية في المناطق المحتلة ، فيقوم الواحد من هؤلاء المرتزقة بتسجيل حركات وسكنات كل واحد من زملائه المعلمين على مدار العام ، وعلى ضوء ذلك يتم التعامل مع

المعلمين كل حسب نشاطه وانتمائه ، حيث يتم في نهاية الأمر معاقبة مجموعات كبيرة إما بالفصل (الوقف عن العمل) أو الإحالة على التقاعد قبل حلول الموعد المحدد لذلك بسنوات ، أو النقل إلى جهات نائية جداً بحيث يضطر المعلم إلى صرف كل راتبه على وسائل المواصلات أو المحاكمات العسكرية الصورية ، ومن هؤلاء المعلمين من هم في سن الشيخوخة رجال أفاضل أفنوا أعمارهم في تربية الأجيال وتهذيب النشء ، فيكون مصيرهم أن توكل أمورهم إلى هؤلاء الأشرار من العملاء أعداء الأمة لنيل الخطوة والمدح والثناء عند الحاكم العسكري!

8- أما ثالثة (الأثافي) وكارثة الكوارث فهي أن تقوم أجهزة المخابرات باصطياد الكثير من الطلاب صغار السن وتجنيدهم عملاء لها وذلك عن طريق إغوائهم وإغرائهم بالمال وغيره وذلك بنقل ما تيسر لهم من المعلومات والأخبار عن الطلاب من الطلاب ، والمعلمين وعن أحوال مدارسهم أولاً بأول ، ووصلت الوقاحة ببعض هؤلاء الأغرار أن يقوم بتهديد معلميه بضباط المخابرات علناً وأمام التلاميذ!!

9- قيام سلطات الاحتلال بفصل مجموعات من المعلمين النشطين فصلاً تعسفياً كمحاولة منها لقطع أرزاقهم ، وما يجدر ذكره أن السواد الأعظم من المعلمين الموقوفين عن العمل هم من الحركة الإسلامية وأصحاب الاتجاه الإسلامي وذلك بقصد حرمان الجيل من التربية الإسلامية وإبقائه يتخبط في بحور الظلام ، وبموجب قرار الفصل يتم حرمان المعلم من كافة حقوقه وامتيازاته الوظيفية..

10 - رواتب المعلمين الفلسطينيين المتدنية والتي لا تؤمن الحد الأدنى من الحياة الكريمة للمعلم وأسرته بعكس المعلم الإسرائيلي الذي يتقاضى أضعاف ما يتقاضاه نظيره الفلسطيني ، ويكون راتبه مربوطاً بجدول غلاء المعيشة بشكل كامل ، مع تأمين كافة خدمات أسرته الصحية والتعليمية وغيرها. والتهاون بحقوق المعلمين الوظيفية والمدنية فمثلاً لقد تم وقف صرف رواتبهم لفترات طويلة أيام الانتفاضة بحجة انقطاع الطلاب عن الدوام المدرسي علماً بأن المعلم كان يداوم يومياً وبلا انقطاع!

11- نصاب المدارس من المعلمين والموظفين لم يكتمل في يوم من الأيام ، فتكاد لا تجد مدرسة إلا ويعتريها النقص في عدد المعلمين قد يصل إلى خمسة معلمين أو أكثر في المدرسة الواحدة أحياناً ، لأن من مصلحة الاحتلال التوفير في هذا المجال ، ولأن التعليم بحد ذاته ليس غاية يسعى إليها ، كما وإن المعلم الموقوف عن العمل لا يتم تغطية مكانه الشاغر وإنما يبقى كذلك حتى نهاية العام.

12- زيادة أسعار الكتب بشكل كبير ، وكذلك الرسوم المدرسية التي يدفعها الطالب في مستهل العام الدراسي الأمر الذي يشكل عبئاً كبيراً على ولي أمره الفقير أو متوسط الحال.
13 - وضع المباني المدرسية المزري ، وعدم القيام بصيانتها أو ترميمها ، فترى كثيراً منها في وضع سيئ ومهلهلة وتحتاج إلى إعادة النظر في مرافقها ، ولكن أمراً كهذا لا يدخل في دائرة اهتمام السلطات هناك.
14- قضية التعيين : إن التعيين في سلك التربية والتعليم في الأراضي المحتلة لا يعتمد على المؤهل أو التقدير بقدر ما يعتمد على الجهة المخولة بالبت في هذا الموضوع ، فيتم تعيين ما نسبته 95% من الاحتياج عن طريق المخابرات ، أما الـ 5% المتبقية فيتم تعيينهم عن طريق إدارات التربية والتعليم التي لا تبتعد كثيراً عن الاتجاه نفسه! فقد حدث أن أوقفت فتاتان عن العمل ليحل محلهما غيرهما بناءً على طلب ذويهما ، حيث إنهما من عملاء الحكم العسكري !!؟
15- ما قيل عن الأوضاع في المدارس يمكن أن يقال عن الأوضاع في الجامعات الفلسطينية والمعاهد والكليات المتوسطة ما عدا قضية المناهج التي تتحكم فيها مؤسسات الجامعات دون تدخل من أحد (هذا فيما يشر لنا) أما بالنسبة لتأسيس هذه الجامعات فهذه قضية بادرت إليها بعض العائلات الظاهرة في المجتمع الفلسطيني فمثلاً (آل المصري) في (نابلس) هم أصحاب النفوذ في تأسيس جامعة النجاح الوطنية ، و(آل ناصر) في (رام الله) هم أصحاب النفوذ في تأسيس جامعة بير زيت و(آل الجعبري) في (الخليل) هم أصحاب النفوذ في تأسيس جامعة الخليل ، وهكذا دواليك ، وتتصرف كل من هذه العائلات في أمور الجامعة ، كملكية خاصة كيفما تشاء وتشتهي وبشكل لا يغضب الحكم العسكري بالتعاون مع مجلس الجامعة المعين من قبل تلك العائلة وغيرها.
16- إحداث ظاهرة الفصول المختلطة (طلاب وطالبات) في مختلف المراحل الدراسية ، وكذلك إحداث ظاهرة وضع نسبة من المعلمين ليقوموا بأعمال التدريس بمدراس البنات الأمر الذي أثر سلباً على العملية التعليمية لكونه يتنافى مع عادات وعقيدة الشعب الفلسطيني!
وكذلك اعتماد أسلوب التشريد الوظيفي والبعثرة المهنية ، فأبناء الجنوب يعينون في الشمال والعكس هو الصحيح بحيث يتوجب على الواحد منهم الاستيقاظ قبل الفجر بساعات ليتمكن من اللحاق بدوامه المدرسي ولا يعود إلى بيته إلا عند الغروب ، الأمر الذي يجعله في حالة استنفار طوال اليوم!!

موقف منظمة التحرير الفلسطينية ..
إزاء المعلمين الموقوفين عن العمل في الأراضي المحتلة :

لا بد من الإشارة في هذا المقام إلـى العـنـصـرية البغيضة والعقلية الحزبية التي تتصف بها منظمة التحرير في التعامل مع الناس في شتــى الأمور والقضايا ، فقد كان هناك توجه لدى منظمة التحرير بصرف رواتب للمعلمين الذيـن يـتـم وقـفـهــم عن العمل ورعايتهم باستثناء المعلمين من الحركة الإسلامية وأصحاب الاتجاه الإسلامي!
ولا زلت أذكر أنه عندما تم وقفنا عن العمل قامت المؤسسات العاملة بالأردن ، الـتـابـعــة لمـنـظـمـة التحرير باعتماد صرف رواتب للمعلمين الموقوفين عن العمل ، مع استثناء معلمي الاتجاه الإسلامي وعدم الالتفات إليهم نهائياً. وهذه كلمة نقدمها للتاريخ ، فقد كنا سعداء لأننا كنا نحتسب ذلك عند الله وليس عند فلان أو فلان ، وإن دعوتنا وتصدينا للباطل لم تكن سلعة نتاجر بها ((قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى الله وَهُوَ عَلَى- كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))، ولـكـــــن كان لا بد من تسطير هذه الملاحظة حتى يعلم الناس من هم أولئك الذي يدّعون أنهم يمـثـلـون شعب فلسطين ، ويتبنون المتاجرة بالشعارات المحروقة أسلوباً لهم!

محاولة امتهان كرامة المعلم من قِبَل سلطات الاحتلال وأعوانها :

في منتصف الثمانينات وعلى وجه التقريب وجهت دعوة رسمية لكل معلم بمنطقة طولكرم بحضور حفل افتتاح (مدرسة السلام) بمدينة قلقيلية تحت رعاية الحكم العسكري ، وأقيم الحفل وأقيمت منصة كبرى جلس عليها الضباط من اليهود،وعناصر روابط القرى العميلة، ومدير التربية والتعليم، بينما جلس آلاف المعلمين في الســاحـات السفلى بكراسي متراصة وكان الفصل شتاءً والبرد قارصاً ، وما هي إلا دقائق حتى انهمر المطر غزيراً ومدراراً،وغرق المعلمون في ثيابهم ، ولم يستطيع أي منهم التحرك لا يميناً ولا يساراً بينما جلس أصحاب المنصة يحتسون المشروبات المختلفة بكل نشوة وسرور تحت مظلة كبرى أعدت لهم!! إنه امتهان لكرامة الإنسان مع سبق الإصرار والترصد.
إن ما ذكر ليس كل شيء بالنسـبـة لقضايا التعليم في الأرض المحتلة ؛ بل ما هو إلا غيضاً من فيض ، وإنه مع بروز ظاهرة الصـحـوة الإسلامية المباركة هناك أخذت الأمور تعود إلى سابق عهدها شيئاً فشيئاً،وكذلك فإن الانتفاضة التي انطلقت من مرابض الحركة الإسلامية ومساجد فلسطين ساهمت إلـى حد كبير في نسف وتبديد ظاهرة الركوع والانحناء لمخططات اليهود وأعوانهم.

خواطر في الدعوة

الهمة العالية

محمد العبدة

مـن أشـــد مـا تصاب يه أمة من الأمم أن يكون أفرادها ذوي همم ضعيفة، وعـزائـم واهـنـــة وتطلعات قاصرة، يرى أحدهم نفسه قزماً أمام المتغيرات الكبيرة ، والتحولات التاريخية ، فلا يفكر في التغيير، ولا البدء في مشاريع مستقبلية، ومَنْ هذا وصفه كيف يرجى له الشفاء إذا كان اعتقاده أنه لا يشفى ، ذلك أنه أسير تربية ذلـيـلـة ، لم يقم يوماً يعمل مستقل أو بعمل تعاوني كبير، لم يـتـدرب يـومـــاً على القـيادة، فإذا فجأة أمر تقوقع وانزوى لأنه لا يملك الخبرة لإدارته.

إن عـــدم الثقـة بالنفس مرض يفتك بالدعوة ورجالها ، فتعيش دهراً وهي لم تفعل شيئاً ذا بـال ، وحتى إذا ما واتتها الظروف التي يهيئها الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده المؤمنين فإنها لا تقدم على اهتبالها ، وذلك كله لعدم الثقة بالنفس ، بل تصاب بالدوار إذا نظرت إلـى ما هو مطلوب منها أو ما ينتظره الناس منها ، ومن العجيب - والعجائب جمة - أن تتاح الفرصة أمام الدعوة فلا تقتنص ، ثم لا يأتي مثلها إلا بعد دهر.

إن الخروج من المأزق له منافذ ، ومنها أن أرض الله واسعة لمن يريد الانطلاق ، ولمن يريد تأسيس أعمال كبيرة ، والطاقات متوافرة ولكنها بحاجة إلى عزمة أكيدة وثقة بوعد الله ، ولقد بعث الله مـوسـى عـلـيه الـســلام لـيخـرج قومه من الذل والاستعباد، إلى التمكين في الأرض ، والاسترواح بشرع الله ، ولكن نفوسـهـم كانت ضعيفة صغيرة ، لا تستطيع حمل مثل هذا العمل العظيم، وذلك لما أنسوه من العـبـوديـــة لفرعون وملئه، فتصاغرت نفوسهم وهانت عليهم حتى لم يعودوا يرون أنها جديرة بمرتبة الاستخلاف في الأرض.

بينما نجد أن العربي الذي تلقى مـــــــن التربية النبوية المباشرة ، والذي لم يتلوث بهاتيك المفاسد يحمل بين جوانحه مــــن الآمال والطموحات ما يغريه على اقتحام الأهوال وجوب البحار لتبليغ هذا الدين.

لا بد أن ينعتق الفرد المسلم مـــن مثل هذه الأجواء التي تقيده وتشعره بضالته وتشعره بأنه جزء صغير من آلة ضخمة، ومن عجلة تدور لا يستطيع الفكاك منها، لا بد أن يقتنع الفرد المسلم بأن عنده طاقات وقدرات يستطيع فيها القيام بأعمال كبيرة.

نحو مفهوم موضوعي وإنساني للتنمية

جمال حسن الحمصي

بعيداً عن ضباب الإعلام الاستهلاكي ووهج الألفاظ الرنانة ونزعة التبسيط المخُل ، يهدف هذا البحث القصير إلى مواجهة إشكالية مفهوم »التنمية«. فما هو المقصود بهذا المصطلح السعري؟ وهل يستطيع الفكر العلماني المعاصر أن يعرّفه بطريقة موضوعية محايدة؟ أم تراه مفهوم أخلاقي معياري فلسفي غير قابل للتعريف الموضوعي غير الشخصي؟ هل الربط بين »التنمية« وبين زيادة الدخل أو الإنتاج أمر مبرر منطقياً؟ أم تراه يُعبر عن أيديولوجية مادية متحيزة؟ وما هو السبيل لتقديم تعريف موضوعي/ عقلاني يتجاوز هذا المفهوم المتحيز؟ هذه هي الأسئلة التي تشكل محور هذا البحث.

يمكن القول بأن مصطلح »التنمية« أو »التنمية الشاملة« جاء ليعبّر عن رغبة الإنسان الملحة في تحسين أوضاعه المعيشية ، وتوقه الدائم لزيادة رفاهيته وسعادته. ولكن ماذا نعني بالضبط بكلمة »التنمية«؟ معظم العاقلين سيقبلون الادعاء بأن التنمية - كمدخل عام - هي : »تغير إنساني مرغوب«.

إن العنصر أو المكون الأخير للتعريف السابق يوقعنا في معضلة أو إشكالية فلسفية أو أخلاقية ، ذلك أن ما يُعتبر تغييراً إنسانياً »مرغوباً« من وجهة نظر فرد أو جماعة أو مجتمع أو حضارة ما ؛ يمكن أن يصبح عكس ذلك من وجهة نظر فرد أو جماعة أو مجتمع أو حضارة أخرى. إن المشكلة الأساسية في التعريف المذكور تتمثل في أن تحديد القيمة الاجتماعية لأي تغير هي قضية ترتبط بفلسفة الأخلاق (Marshall, p17) أكثر بكثير من ارتباطها بالعلم والتجريب.

قد يقول قائل : إن التغير الإنساني الذي يزيد من الرفاهية أو السعادة الإنسانية هو تغير »مرغوب« بشكل موضوعي لا خلاف فيه (ومن يرفض السعادة كهدف أسمى؟) وعليه فإن المنطق السوي يقتضي القول بأن »التنمية« هي : »تغير إنساني يهدف إلى زيادة الرفاهية أو السعادة الإنسانية«.

قد يعتقد البعض أن الحيلة الأخيرة قد حلت بشكل كامل المشكلة الفلسفية المرتبطة بتوفير تعريف موضوعي لمصطلح »التنمية« ، وذلك من خلال جعل الرفاهية أو السعادة الإنسانية بمثابة الخير أو الهدف الأسمى للبشرية ، ولكنها للأسف لم تفعل ذلك. وهذا يعود إلى قصورنا في تحديد وقياس مفهوم الرفاهية الإنسانية(1). فالقول بأن التغير الإنساني »س« قد زاد من الرفاهية الإنسانية هو حكم شخصي من الصعب اختباره بشكل علمي موضوعي محايد. إن الرفاهية ، وكما تؤكد الغالبية العظمى من منظري اقتصاديات الرفاه Welfare Economics، هي متغير غير قابل للقياس أو. المقارنة الموضوعية (انظر على سبيل المثال : Graff, p.2-3).

تعريفات للتنمية :

إن المقدمة السابقة تشكل منطقاً جيداً لتقويم التعريف العلماني الدارج للتنمية في وقتنا الحاضر ، ذلك التعريف الذي يركز على البعد الاقتصادي أو المادي للرفاهية أو التنمية. فمن خلال إلقاء نظرة متفحصة على أدبيات التنمية في العلوم الاجتماعية (وبالذات علم الاقتصاد وعلم الاجتماع) ، يستطيع المرء أن يستنتج تعريفين رئيسيين لمصطلح »التنمية«: الأول هو تعريف إجرائي Operational ولكنه غير موضوعي بتاتاً وذلك هو التعريف الاقتصادي للتنمية والذي ينظر إلى »التنمية« بوصفها: »عملية طويلة الأجل تهدف إلى زيادة متوسط الدخل الفردي الحقيقي«. أما التعريف الثاني والأكثر حداثة فهو موضوعي إلى حد كبير ولكنه غير إجرائي ، وهو ينظر إلى التنمية بوصفها: »عملية طويلة الأجل تهدف إلى زيادة الرفاهية أو السعادة الإنسانية«.
التعريف الأول هو إجرائي بلا شك لأنه يمكن توفير سلاسل زمنية إحصائية تتابع حركة الدخل القومي ، ولكنه غير موضوعي (علمى) لأن الدخل الفردي الحقيقي Real Par Capita Income هو مؤشر ضعيف للرفاهية الاقتصادية ، فكيف نجعله مقياساً أو حتى مؤشراً للرفاهية الإنسانية والتي تضم - إضافة إلى الرفاهية الاقتصادية - كلاً من الرفاهية الأسرية والرفاهية السياسية والرفاهية الاجتماعية والرفاهية البيئية والرفاهية الروحية والرفاهية النفسية(2).
هل يمكننا تقديم تفسير لهذا التحيز الأيديولوجي في جعل الدخل القومي مقياساً أو مؤشراً لجودة الحياة و»مستوى المعيشة« والرفاهية الإنسانية ؛ يقول أحد المتخصصين :
»بالرغم من أنه قد عُلم بأن الدخل القومي لا يعكس كل الحاجات الإنسانية ؛ إلا أنه قد افترض بأن أي مؤشر بديل أكثر شمولاً سوف يكون مرتبطاً بشكل كاف مع الدخل القومي ، بحيث أن التغيرات في أحدهما يمكن معرفتها عن طريق دراسة التغيرات في الآخر« (Nissel, p16). وهكذا فقد حُلّت أهم مسألة تواجه البشرية ، ألا وهي مسألة تحديد ماهية الخير الأسمى Summun Bonum للإنسان عن طريق التعميم والغموض.
المشكلة في التعريف الاقتصادي للتنمية أنه يجعل النمو الاقتصادي والتصنيع بمثابة »الهدف الأسمى« الذي يطمح الإنسان إلى التوصل إليه ، فحسب هذا التعريف فإن أي تغيّر إنساني يزيد من الدخل القومي هو تغيّر »مرغوب«.
حتى وإن أدى إلى تدهور الرفاهية غير الاقتصادية. وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة ، فإن المؤمنين بالنظرية الاقتصادية للتنمية (وهم في تناقص مستمر) يستبعدون وجود مسببات أخرى للرفاه غير المسببات الاقتصادية أو يفترضون أن هذه المسببات الأخرى تنمو تلقائياً مع زيادة الدخل القومي ولا تتأثر سلبياً بالتغيرات الاقتصادية ، وكلا الأمرين تبسيط مخل وغير موضوعي.

إن القول بأن أي تغير إنساني يزيد من الناتج القومي الإجمالي GNP (الدخل القومي) هو تغير »مرغوب« لا يمكن إثباته أو تبريره بطريقة موضوعية/عقلانية ويمكن تقديم الكثير من المنطق والجدل لرده.
فمجمل الناتج القومي ليس فقط قاصراً عن الدلالة على الحياة ورفاهيتها بصورة ملائمة ،وإنما لا يعتبر أيضاً مؤشراً جيداً للإنجاز الاقتصادي(3) (Nissel p,16. ويؤكد K.Helleiner في مقالته »شروط أخلاقية للنمو الاقتصادي« على ضرورة توفر شرطين على الأقل ليؤدي النمو الاقتصادي إلى زيادة الرفاهية ، أو بالأحرى الرفاهية الاقتصادية ، وهما :
1- يجب أن تكون رغبات وتفضيلات الإنسان التي يعمل النمو الاقتصادي على إشباعها ذات طبيعة »مفيدة« أو »غير هدامة« أو بتعبير آخر »جيدة«. وإلا فإن النمو الاقتصادي هو وسيلة الإنسان للتعاسة! إذ ما الفائدة من وراء استهلاك الخمر و»الخدمات الجنسية« ، على سبيل المثال ، سوى تدهور الصحة وتزايد معدلات الطلاق وحوادث السير ، وانتشار الأمراض الجنسية؟
2- يجب أن لا تنمو كثافة وعدد رغبات الإنسان بمعدل أسرع من القدرة على إشباعها (p.390).
أما أرثر لويس A.Lewis ففي إجابته على التساؤل : »هل النمو الاقتصادي أمر مرغوب؟« يؤكد على أن الثروة لا تجلب أو تزيد من السعادة إذا ما زادت الرغبات بشكل أكبر من زيادة الموارد (p.420,1965) وهذا بالفعل ما يحدث على أرض الواقع ، إذ أن تزايد دخول وثروات الناس عادة ما يزيد من تطلعاتهم ورغباتهم ، خصوصاً إذا كانوا يفتقدون التطلعات الروحية والدينية.
ويقول المؤرخ الشهير أرنولد توينبي A. Toynbee في هذا المجال : »يجب أن نهدف ليس إلى [زيادة] الناتج القومي الإجمالي وإنما إلى [زيادة] ، الرفاهية القومية الإجمالية. إن مدى اختباري للرفاه هو كما يلي : مدى الانسجام والتعاطف المشترك بين أفراد المجتمع والرفاهية الروحية المتوسطة لكل فرد والتي تحدد بدورها مدى الانسجام والتعاطف« (Mayor, p.212).
وكما أشار »جوارتني وستروب Gwartney and Stroup « في كتابهما »عالم الاقتصاد الكلي« فإن »الناتج القومي الإجمالي لا يقيس الرفاه أو السعادة أو حتى التقدم الاجتماعي ، فهذه المفاهيم الشخصية [غير الموضوعية] تتأثر بعوامل عديدة أخرى. ما يزال الرأي العام يربط بين زيادة الناتج القومي الإجمالي وبين التقدم والتحسن في نوعية الحياة وهذا أمر يؤسف له ، لأن الناتج القومي الإجمالي لم يُقصد به بتاتاً أن يكون مقياساً للتقدم الاجتماعي.. [إنه مجرد] مؤشر للتغيرات قصيرة الأجل في النشاط الاقتصادي« (p.127).
أما التعريف الثاني للتنمية فهو تعريف موضوعي إلى حد كبير ولكنه ضمن النظرية العلمانية للمعرفة - غير إجرائي. وهو ينظر إلى التنمية بصفتها عملية تهدف إلى زيادة الرفاهية الإنسانية بمكوناتها وأسبابها المتعددة ، الاقتصادية

منها والاجتماعية والسياسية والروحية والأسرية ، البيئية والنفسية. إنه تعريف موضوعي لأن قليلاً من الناس من يرفض رفاهية أو سعادة البشر كهدف أسمى ، ولكنه غير إجرائي لأننا كبشر لا نعلم - من خلال العلم أو العقل أو الأدلة التجريبية - ماهية العوامل أو القيم أو الأوضاع التي تزيد من الرفاهية ، لأن المسألة فلسفية جدلية ، وحتى إذا استطعنا تعداد أو حصر مجمل مسببات الرفاهية - كما فعل الكاتب - فإن هذا لا يحل مشكلة تحديد الأهمية النسبية لهذه المسببات ، كما أن هذه الخطوة الأولية لا تحل مشكلة كيفية تحقيق مختلف مسببات أو مكونات الرفاه ، وما هو مقياس التحسن أو التردي في كل منها ، هل هو تفضيلات الأفراد ، أم تفضيلات »الحكومة« ، أم تفضيلات دكتاتور ، أم العادات والتقاليد ، أم تفضيلات الأغلبية ، أم تفضيلات النخبة (المخططين مثلاً) أم ماذا ؟ وما هو مدى »موضوعية« هذا المقياس؟
مما سبق نستنتج أن »التنمية« مفهوم إشكالي إلى حد كبير من الناحية الفلسفية أو الجوهرية (Wallman, p1-2) فهي من المفاهيم الخلافية بالضرورة Essentially Contested Concepts. والاعتماد على العقل أو العلم أو المعرفة التجريبية للتوصل إلى التعريف »الحقيقي« أو »الموضوعي« لهذا المفهوم أمر عسير ، لأن التنمية مصطلح أخلاقي أو معياري(Seers,p.22 Normative Concept ، أي مفهوم يتعلق بما »يجب« أن يكون عليه الوضع الإنساني وبالتالي فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحكام القيمية Value Judgements أو المسلمات الأخلاقية Ethical Premises المتعلقة بما هو مفضّل أو مرغوب من الأوضاع أو الأهداف (Lewis, 1975, p.119-120) (Colman and Nixon,p.2)، ولكي نتمكن من تحديد المضمون »الموضوعي« للتنمية أو معرفة أهدافها »الحقيقية« لا بد لنا من معيار خارجي موضوعي ومستقل عن التفضيلات الشخصية أو الثقافية لبني البشر ، وهذا بدوره يستلزم التوصل إلى نظرية موضوعية للمعرفة الأخلاقية Objective Epistemology الأمر الذي فشلت الفلسفة العلمانية المعاصرة في تحقيقه(4).

مضامين ونتائج :

لهذا البحث القصير العديد من المضامين والنتائج المرتبطة بالسياسة العامة ، لعل أهمها:
1 - ضرورة الاهتمام بالجوهر والمضمون عند القيام باتخاذ ســياســات أو برامج أو خطط تنموية. فعلى سبيل المثال هناك تجاهل غير مقبول تماماً من قبل معظم دول العالم للرفاهية غير الاقتصادية وقد أثر هذا التحيز الأيديولوجي في نوعية الحياة بـشـكـــــل أفقد الحياة معناها ورونقها. فبرامج »التنمية« وخططها يجب أن لا تهدف فقط إلى زيادة معدلات الإنتاج أو رفع معدلات النمو الاقتصادي أو تقليل التفاوت في مـسـتـويـات الدخول أو القضاء على البطالة والفقر ، أو حتى رفع كفاءة العاملين أو تنمية الموارد البشرية

فحسب ، بل يجب أن تتضمن كذلك - وبشكل واع وصريح - أهدافاً وسـيـاسـات وبرامج للحد من المشكلات الأسرية وحماية مؤسسة الزواج والأسرة (الرفاهية الأسرية) وتحسين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وتخفيض معدلات الجرائم والانحراف السلوكي (الرفاهية الاجتماعية) ، وإعطاء القيم الروحية مكانـة عـالـيـة وتخفيض معدلات الانتحار والإدمان والأمراض النفسية (الرفاهية الروحية والنفسية) والتركيز على الاهتمام بالرفاهية البيئية.
إن من المؤسف له أن تُعطى »الرفاهـيـة الاقـتـصـادية« في معظم دول العالم أكثر من ثماني وزارات أو دوائـر حكومية رئيسية (المالية والبنك المركزي والتموين والصناعة والإسكان والتجارة والطاقة والثروة المعدنية..) في حين لا تكاد تُعطى الرفاهية الأسرية سوى اهتمام جـزء مـن وزارة ، مع أن الشرع الإسلامي - الذي يقدم لنا نظرية موضوعية للمعرفة الأخلاقية - يجعل مقصد »حفظ النسل« مقدماً من حيث الأهمية على مقصد »حفظ المال، كما يؤكد ذلك علماء أصول الفقه.
2- من القراءة المتبصرة لهذا المقال يتبين لنا مقدار التحيز واللاموضوعية التي وصل إليها دعاة التحديث Modernization والتغريب Westernization (تقـلـيـد نـمـط الحياة الغربية). فهؤلاء اعتبروا أن طريقة الحياة الـغـربـيـة تعبّر عن التنمية والتطور والتحديث والتقدم. بل ويصر بعضهم على أن النموذج الغربي للتنمية هو النموذج الوحيد أو »الأمثل« وأن المفهوم الغربي العلماني للتنمية هو مفهوم »عقلانـي« أو »مـوضـوعي« إن هؤلاء ببساطة يعانون من وعي زائف مزمن.(5)
3- ضرورة زيـادة الاهتمام الرسمي والشعبي لتكوين وبلورة نظرية إسلامية للتنمية تنطلق من المسلمات الأخلاقية الإسلامية وتضع البرامج العلمية الكفيلة بتحقيق المنظور الإسلامي للتنمية. إن هـذا الأمـر ليس مجرد ترف فكري أو من قبيل الاهتمام بالأصالة و»التراث« فحسب ، إنه في واقع الأمر السبيل الوحيد لإيجاد حقيقة موضوعية. فكما أكدنا سابقاً فإن النموذج العلماني للتنمية غـيـر مؤهل لتقديم تعريف موضوعي/عقلاني للتنمية ، كما أن النموذج السابق قد فشل فشلاً ذريعاً على أرض الواقع في حل مشاكل المجتمع المعقدة. إن العقل والعلم - معبودا العلمانية - غير مؤهلين للتوصل إلى تعريف موضوعي للتنمية فهذا ليس نطاق عملهما. إنهما مـجـرد وسيلة لتحقيق الهدف ، ولكنهما لا يملكان القدرة على تحديد ماهية هدف »التنمية« أو مضمـونـهـا الموضوعي. وعليه لا بد لنا من الاستعانة بالقيم الإسلامية لاستنباط أو بلورة نظرية معيارية موضوعية للتنمية.
إن الذي حفزني لكتابة هذا المقال تناقض جـوهـري يسري في حياتنا المعاصرة. يتمثل في الحديث المجرد ، وربما الساذج ، عن »التنمية« و»التقدم« و»البناء« و»التطور« و»الرقي« و»التحديث« و»عقلنة المجتمع«..

ومــا شئت من مصطلحات ، في الوقت الذي يغرق فيه الفرد - أي فرد سواء كان في الدول العلـمانية النامية أو العلمانية الصناعية - في مستنقع من الضجر والملل وفقدان الحياة والجمود والترويض والاضطراب النفسي ، وفي الوقت الذي تعاني فيه كافة المجتمعات العلمانية المـعــاصــرة من عشرات المشكلات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية.(6) وكما يقول أحد علـمـــاء النفـس التـحـلـيـلـي : »نحن نعيش عصراً حلّت فيه سيكولوجيا انتحارية محل الاستقرار الداخلي ، وتخلت الـمـاهــيـة عن مكانها إلى جميع المظاهر السطحية«.

ألـم يـقــل الله عز وجل في كتابه الكريم : ((ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً)) [طه:124]. هــــذه هي خرافة »التنمية« في الدولة العلمانية ، فإلى متى ننمي هذه الخرافة؟

الهوامش :

1 - حول عدم إمكانية تحييد القيم أو الأحكام القيمية - غير القابلة للاختبار العلمي - في مجال قياس الرفاهية الإنسانية ، انظر (Drewnowski,p.85).

2 - إذا أراد القارئ التعرف على تعريفات دقيقة ومقترحة للرفاهية الاقتصادية والأسرية والاجتماعية والروحية والسياسية والنفسية والبيئية فإن عليه الرجوع إلى أطروحة الكاتب (الكفاءة والعدالة في الاقتصاد الإسلامي : مدخل إسلامي لاقتصاديات الرفاه) ، ص 14 -15 ، الجامعة الأردنية.

3- للتعرف على عيوب الناتج القومي الإجـمــــــــالي باعتباره مؤشراً للإنجاز أو الرفاهية الاقتصادية ، انظر رسالتنا الجامعية (الكفاءة والعدالة في الاقتصاد الإسلامي : مدخل إسلامي لاقتصاديات الرفاه) ، ص 193-195، حـيــث تــم تعداد (10) عيوب لهذا المؤشر ، بدءاً من السلع التي لا تتداول في السوق ووقت الفراغ ، مروراً بمسألة توزيع الدخل وجودة السلع المنتجة وتركيبتها ، وانتهاءاً بماء يرافـــق النمو الاقتصادي من التلوث والضجيج وحوادث العمل والتكاليف الاجتماعية الأخـــــرى. ولـمـزيـد مــن التفاصيل حول تكاليف النمو الاقتصادي انظر (Mishan,1973).

4 - يـشـيـر »F.Utsunomiya« في كـتـابه »علم سياسة التنمية والبيئة : نحو حضارة جديدة« ، إلى أن »التنمية« هي مفهوم معياري وبالـتـالـي فـهـــى تشكل موضوعاً ملائماً للنظرية الأخلاقية والفلسفة ، فنحن نحتاج - حسب قوله -إلـى فلـسـفــة للتـنـمـيـة الإنـســـانية. ثم يستمر ليؤكد عجز الفلسفة المعاصرة عن تكوين نظرية معيارية للتنمية

حيث يقـــول: »مـــــن الطبيعي أنه ليس هناك رموز ، كلمات إرشادات أو بناء معرفي
للنظرية المعيارية. إن جمـيــع المنظرين المعياريين Normative Theorists يتفقون على أن التنمية يجب أن تـؤســس على المذهب الانساني Humanism، ولكن
من الصعوبة التعرّف على أي اتفـــــاق على التعريف المعياري للتنمية. إن هؤلاء المنظرين
المعياريين لا يمكن أن يتجنبوا الانتقادات القائلة بأن مفاهيم القيم هي مفاهيم شخصية
بحتة« (p61-62). إن الفلسفة الـغــربية المعاصرة ترتكز على مذهب الشك الأخلاقي
Moral Skepticism، بمـعـنـى الـشــك في إمكانية التوصل - من خلال الأدلة العقلية أو العلمية - إلى معرفة أخلاقية موضـوعية مستقلة عن تفضيلات (أو رغبات)
الأفراد أو جماعات المصالح الخاصة، وبالتالي فـهـــذه الفلسفة العلمانية تستند بشكل
رئيسي على نظرية شخصية للمعرفة الأخلاقية Subjective Epistemology، وهي نظرية قوامها جعل الانسان ورغباته المقياس الوحيد للقيمة
والفضيلة.

5- من الكتب الحديثة التي تتعرض بالانتقاد لنمط الحياة الغريبة من منظور تنموي شامل ، كتاب »فقر التقدم : تغيير أنماط الحياة في المجتمعات الصناعية ، (1982) ، حيث يؤكـــد هذا الكتاب على ظاهرة سوء تنمية) Maldevelopment المجتمعات العلمانـيـة الغربية المعاصرة من حيث التركيز على النمو الاقتصادي أو المادي وإهمال الجوانب الاجتماعية والأسرية والبيئية. كما ينادي مؤلف الكتاب إلى تطوير »أساليب بديلة للحياة« تحل محل »أساليب الحياة المسيطرة« في هذه المجتمعات ، والتي تتميز بالتفكك الأسري وانعدام الثقة والعواطف الإنسانية وتزايد معدلات الجريمة والعنف ، بالرغم من مظلة النمو الاقتصادي والتطور الديمقراطي الذي يعيشونه. انظر (Miles and Irvine, 1982).

6- في المجال الأسري تعاني الدول العلمانية المعاصرة من مشاكل الطلاق ، العنوسة (العزوبية) والهجران الزوجي والأمراض الجنسية وآخرها الإيدز ، والبغاء والشذوذ الجنسي والاجهاض ، والاغتصاب والخيانة الزوجية والأطفال

غير الشرعيين والعنف الأسري والتحرشات بالمرأة العاملة في سوق العمل وهتك العرض وما شابه ذلك.
وفي الميدان الاجتماعي تعاني دول العالم المعاصر من مشاكل الإجرام سواء كان ضد الملكية
أو النفس ، والتشرد وحوادث الطرق وانحراف الأحداث والعنف وانخفاض معدلات نمو
السكان (في الدول الغربية) وظاهرة »المجتمع الشائخ« ، والانحراف السلوكي والانتحار ،
والإدمان على الكحول والتبغ والمهدئات والمنومات والمنشطات والمخدرات والمسكنات ،
ومشاكل التمييز العنصري والأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية والعصابية ، والفساد
الإداري والجرائم الاقتصادية والمشاكل العاطفية بين المرأة والرجل والرشوة...
وفي الميدان الاقتصادي تشكو المجتمعات العلمانية المعاصرة من التضخم (ارتفاع الأسعار)
والبطالة والدورات الاقتصادية والفقر وسوء توزيع الدخل والثروة وانخفاض معدلات النمو
الاقتصادي ، والعجز في الموازنة العامة وميزان المدفوعات ، والديون الخارجية (لدى دول
العالم الثالث) ، وسوء تخصيص الموارد واستنفاد الموارد الطبيعية.
وفي المجال البيئي هناك مشاكل تلوث البيئة (الهواء والماء والبحار والمحيطات) والضجيج
وتـضــــــرر طبقة الأوزون، والتصحر والتعرية وانقراض بعض الأنواع بفعل الصيد الجائر والارتفاع العالمي في درجات الحرارة وغيرها.

التوجيه الإسلامي الشامل

محمد محمد بدري

أصبح الإعلام من أقــوى (الأسلحة) التي تحرص الأمم على امتلاكها. وتتسابق في ميدانها ووُظِّفَت دراسات علم الـنفــس وعلم الاجتماع وغيرهما من العلوم في خدمة الإعلام ، حتى أصبح قادراً على (صناعة) اهتمامات الفرد ، و(صياغة) أفكاره ، و(تغيير) سلوكه بما يتفق مع التغيير الاجتماعي المنشود.
ولقـد قـطـع الإعــلام الـجاهلي المعاصر خطوات كبيرة نحو (الإنسان) المسلم حتى أوقعه في أسـره.. وكانت الخطوة التاليـة لـ (الأسر) هي مـحـاولــة

دفـــع هذا المسلم في طريق التنكر للإسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً وحضارة!! وقد توسل الإعلام الجـاهـلـي لـذلـك بوسـائــل كثيرة:
فأما حقائق الإسلام، فـقـد كـانـت طـريقـتـه في عـرضهـا هي (العرض اللاهوتي) أو التراثي المتخفي ، حتى أصبح أكثر المسلمين لا يفهم من كلمة الإســلام إلا مـا يفهـمـه الأوربي من كلمة Religion إذا ذكرت أمامه ، فلا يزيد الإسلام في حسه عن بضعة طقـوس وشعائر لا علاقة لها بشأن من شئون الحياة !!
وأمـــا الأفكار التي يقوم بنشرها ، فلا تجد بينها غذاءً فكرياً جيداً ، بل أكثرها من نوعية الأفـكـار التي يمكـن أن نطلق عليها (العَلَف الفكري) ، فهي أفكار »تدعو الفرد المسلم ، إمّا إلى الانصراف إلى قضاياه اليومية الخاصة التي تدور حول الغذاء والكساء والمأوى ، وإما إلى الاغتراب الحضاري والجـغـرافـي، والهجــرة إلى خارج الوطن الأم والانضمام - بإعجاب وولاء - إلـى المجتمعات (الاستعمارية).. وإما إلـى الانـحـلال الاجـتـمـاعـي والانـحـراف والانغماس في تيار الجنوح والانحراف«(1).
وأمـا الأخلاق الـتـي ينشـرهـــا الإعلام الجاهلي فهي أخلاق (الفضائح الاجتماعية) ، »فمن إدمان للخمر، إلى نوادي القمار، إلى دور البغاء العلني والسري ، إلى الخلاعة على شواطئ الـبـحـار والأنهـار وأحـواض السـباحة والاستعراضات الرياضية المختلطة، إلـى تسـهـيـل الإغراءات في الملابس وتشجيع دورهـا ومحلاتها وصحفها وحفلات عرضها.. إلى آخر تلك الفضائح الأخلاقية التي قتلت الرجولة والشهامة والمروءة والاستقامة وروح الجهاد والكفاح في الحياة لدى الأجيال المسلمة...«(2).
وأمـا فـي نطـــاق قدرة الفرد على التغيير ومجابهة التحديات ، فقد أكد هذا الإعلام على ترسيخ اعتقاد المسلم بأنه غير قادر على فعل أي شيء في مواجهة الواقع ، وأن الاستسلام لما هو كائن هو (التصرف الواقعي)!
ولا شـك أن الـعـمـل الإسـلامـي لا يملك في مواجهة هذا الإعلام إلا سلاح الدعوة والبيان، ولكن شمول الخلل الذي أحدثـــه الإعـلام الـجـاهـلـي في الأمة يحتم على العمل الإسلامي أمرين :
الأول : »لم يعد يكفي الاعتماد على الجانب العقدي وحده أو التشريعي وحده أو السلوكي وحده، لمجابهة الأزمات الحضارية والانـتـكـاســات الـفـردية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع الإسلامي. بل لا بد أن تمشي الخطوط الثلاثة متكـامـلـة متوازنة متعانقة لمعالجة السقـوط الـعـقـائـدي والاجتماعي والأخلاقي فيه ، تمهيداً لإحداث التـغـيـيـر الإسـلامـي المنتظر«(3) ، وهـذا يعـنـي أن يكـون (الخطاب الإسلامي)(4) خطاباً شاملاً ، يكشف الحق الملتبس ، ويبينه للأمـــة فـي صـــورة بلاغ مبين ، ثم ينتقل بالدعوة من مرحلة

المبادئ إلى مرحلة البرامج ، فيقدم (المشروع الحضاري الإسلامي) الذي يكون بديلاً للمشروع العلماني.
الثاني : لا بد من تجنب الإســـراف في استخدام الكلمة والبيان ، بحيث لا تكون الكلمة مجرد صورة بيانية ترف في الهواء ، أو مجرد كمية من المداد على صفحة من الورق ، بل لا بد أن تكون الكلمة (فعالة) تبث أفكاراً لها كثافة الواقع ووزنه ، بما تدفع إليه من نشاط وحركة في طريق التغيير (5).
وأما في موضوع الأخلاق والقيم، فـإن الـتـوجـيـه الإسـلامـي لا يقـدمـهـا كعدد من الفضائل المبعثرة ، كل على حدة ، كالصدق والأمانة والعفة والوفاء.. الخ.. إنما يقـدمـهـا كـمـا هـي على الحقيقة »نظام متكامل لحياة شاملة ، نظام يوجه ويضبط كل النشاط الإنساني في شتى جوانب الحياة ، ..فالصدق خلق ، ومثله الجهاد في سبيل الله لتحرير البشر من العبودية لسواه. والأمانـة خلق، ومثلها عمارة الأرض وتنمية الحياة وترقيتها في حدود ما شرع الله، ابتغاء رضوان الله، والعفة خلق، ومثلها تطهير عقول الناس من الوهم والخرافة والضلال، والوفاء خلق، ومثله القيام على حدود الله، والإيـجـابـيـة وعــدم السـلـبـيـة فـي حـيــاة الجماعة... «(6).
وهكذا .. لا يهـتـم الـتـوجـيـه الإسـلامي بالأخلاق من الناحية الفلسفية ، بل من الناحية الاجتماعية، ومـدى مـسـاهـمـة الـخـلق في إيجاد (قوة التماسك) اللازمة في أمة تريد إقامة حضارة على أساس من الإسلام الحق .. الإسلام المتحرك في العقول ، والسلوك ، والمنبعث في صورة (إسلام اجتماعي).
وأمــا الأفـكـار، فــإن التوجيه الإسلامي الشامل يركز على أن فقدان (الرسالة) التي قامت عليها الأمة ، وضـيـاع (الغاية) التي بُعِثت من أجلها يؤديان إلى انهيار الأمة وهلاكها »وأن أمانة (الرسالة) تفــرض على الـمـسـلمين أن يكون كل منهم على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبله، وأما القاعدون من المسلمين الذين يظنون أنهم بأخلاقهم وصلاتهم وصيامهم يؤدون واجبهم تـجـاه أمـتهـم ويحملون رسالتها ، فليعلموا أنه لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه، وأنــه لـن ينتـصـر آخــر هــذه الأمة إلا بما انتصر به أولها أي بالإيمان والجهاد والتضحية والثبات«(7).
وأما قدرة الفرد علـى التغيير، فــإن التوجيه الإسلامي الشامل يقوم على تعميق الإحساس بضــرورة الـتـغـيـيـر مع بث الثقة في أفراد الأمة وقدراتهم وإمكاناتهم التي تؤهلهم لحمل مسئولية التغيير، وذلك عبر إشعار جماهير الأمة بالوضع السيئ الذي تعيشه أمتهم،وإثارة تطلعاتهم إلى تغيير الواقع الذي يستهدف حريتهم ، وحضارتهم ، بل ولقمة عيشهم!! ومن ثم حشد طاقات جماهـيـر الأمة جميعاً لتصب في حركة تغييرية تسير بصورة تدريجية وتصاعدية حتى تبلغ ذروة أهــدافهـا بإخراج جماهير الأمة من العبودية التي تؤلمها وتحز

في صدورها ، إلى الحرية التي لا تـتـحـقــق فـي ظــل منهج من المناهج كما تتحقق في ظل الإسلام.
وهكذا هو التوجيه الإسلامي الشامل.. يطرح الإسلام كمعادلة فكرية وسياسية واقتصادية وأخلاقية ، وذلك في مواجهة المعادلة العلمانية التي تريد إبعاد الأمة الإسلامية عن خط الإسلام لتقربها إلى خط الكفر!
إن الكثير من المسلمين يبحثون عن الطريق إلى الخروج من التبعية الذليلة ، ومن هنا فلا بد أن يقدّم لهم التوجيه الإسلامي البديل النظري والواقعي للخروج من هذه التبعية ، ويزيل من أنفسهم أسباب العجز والتخلف ، ويبعث فيها روح الأمل والثقة في القدرة على التغيير والخروج من التبعية إلى الريادة.
إن في الأمة الإسلامية »طاقات وقوى لم تستخدم ، لأننا لا نعرف كـيــف نكتلها ، وهناك ملايين من السواعد والعقول المفكرة صالحة لأن تشارك في التغيير، والـمـهـم هــو أن نعرف كيف ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول«(8) لإحداث الـتـغـيــر الـمـنـشـــود. ولا شك أنه لا سبيل لنا إلى ذلك إلا بالتوجيه الإسلامي الذي ينشر الفكرة الإسلامية بين أفراد الأمة ، وبقدر شمولية هذه الفكرة سيكون اكتساحها للأفكار الجاهلية المثبطة للـعـزائـم.. وبـقـــدر فعالية الأمة في حمل هذه الفكرة ستكون وقفتها القوية في وجه أعدائها ، وسيكون التغيير.

الهوامش :

1- هكذا ظهر حيل صلاح الدين - د. ماجد عرسان الكيلاني ص 303.
2- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري - د. محسن عبد الحميد ص 33.
3- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري - د. محسن عبد الحميد ص 99.
4- تطلق كلمة (خطاب) في علم النفس الاجتماعي على كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب ، وتهدف إلى التأثير على المستمع أو القارئ.
5- مستفاد من كتاب : مشكلة الثقافة - مالك بن نبي ص 109.
6- مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب ص 289.
7- المعاصرة في إطار الأصالة - أنور الجندي ص 53.
8- مستفاد من كتاب : مشكلة الثقافة - مالك بن نبي ص 64-65.

الفلاح المصري كما يراه اليهود

د. أحمد إبراهيم خضر

كل فلاح مصري يـغـادر قـريته متجهاً إلى المدينة للدراسة أو للعمل أو للزيارة يشكل خطراً على اليهود . وتتفاوت درجــات هــذا الخطـر تعظم إذا سافر إلى القاهرة بالذات ، وتخف قليلاً إذا ذهب إلى عاصمة محافظته ، أو

إلى مدينـة مــن المدن التي تبعد عن قريته ، وإذا عاد إلى قريته بعد انتهاء مهمته في المدينة فهو مصدر خطر أيضاً .
الفلاح المصري كما تقول دراسات الباحثين اليهود، مـتـمـيـز عـن أي فلاح آخر في بلاد ما يسمونه (بالشرق الأوسط) أو (الهلال الخصيب) بمواظبته على الـصلاة فـي الـمسجد ، ولا تكاد تخلو قرية من قرى مصر من وجود مسجد بها يذهب الفلاحون إليه للصلاة.
القرية المصرية كانت لقرون عديدة تدفع بأبنائها إلى القاهرة لدراسة الدين في الأزهر. وكان الأزهر إلـى عـهـد قـريـب الـطـريق الأكثر تميزاً في تحقيق نقلة اجتماعية ذات قيمة لأبناء القرى. إن العديد من العلماء بل إن أكثر من نصف شيوخ الأزهر ينحدرون من أصول ريفية. كان الأزهر في الماضي قلعة الدفاع عـن الدين ، وموقع مختلف الأنشطة الدينية ، أما اليوم فإنه تحت قبضة الحكومة ويخضع لإشـراف وضـبـطٍ قـوي مـن جانبها ، فتحول إلى موقع مسالم يندر أن يجد فيه أي نشاط معاد للحكومة فرصة للظهور(1).
إذا تعلم الفلاح المصري فسيصبح يوماً ما خطراً على اليهود ، لأنــه قــد يصـبـح عضواً في جماعة إسلامية. وإذا ذهـــب الفلاح المصري إلى القاهرة فأين سيقيم : في الجمالية ، أو في الدرب الأحمر، أو في الحسينية ، أو في منطقة حزام الفقر القاهري ، أم سيقيم في الحلمية الجديدة أو القصر العيني ؟ وكل هذه المناطق لها دلالاتها عند اليهود.
أما إذا ذهب إلى المدن الكبرى في المحافظات فإن الخطر على اليهود قائم. هناك الجامعات الإقليمية ، وهناك فرص العمل ، ووسائل الراحة ، وهناك الجماعات الإسلامية أيضاً. أينما ذهب فإنها هنـاك سواء ذهب إلى الإسكندرية أو بور سعيد أو الزقازيق ، أو ذهب إلى طنطا ، أو نجع حمــادي ، أو غيرها من مدن المحافظات التي لم يكن لها ذكر في الماضي على خريطة مصر السياسية.
إذا ذهب الفلاح المصري إلى الصلاة في المسجد أو في المدينة ، أو استمع إلى حلقات الدروس التي يتعلم فيها أصول دينه، أو اشــتـرك فـي جمـعـيـات إسلامية خيرية فإن الخطر على اليهود قائم أيضاً .
من الخير للفلاح المصري - كما يرى الباحثون اليهود - أن يقرأ جريدة (اللواء الإسلامي) لأنـهــا الجريدة التي أنشأتها الحكومة بغرض محاربة ما يـسـمـى (بالـنـمـــو الـخـطـــر للأصولية)(2).
لا ضرر من أن يستمع الفلاح المصري إلى إذاعة القرآن الكريم ، أو إلى البرامج الدينية في الراديو والتلفزيون ، لكنهم يحذرون من دروس الشيخ الشعراوي الذي كانوا يرونه يوماً هذا الوزير الذي دفعته السلطات للدفاع عن الخط العصري ، ثم عادوا يعتبرونه اليوم أحد الأصوليين. على الفلاح المصري ألا يقرأ كتابات الشيخ كشك التي تذكرهم بكتابات الإمام حسن البنا، ولا أن

ينظر في مؤلفات سيد قطب. لا ضرر من انضمام الفلاح المصري لحلقات الصوفية ، مع الحذر من أن تكون هذه الحلقات معبراً إلى الجماعات الإسلامية.
(القرية النوبية) قنبلة زمنية موقوتة يحسب لها اليهود حساباً دقيقاً ، كما كان النصارى يفعلون من قبل ، فسلطوا عليها مركز بحوث الجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة ما يسمى بالسلوك الديني للـقـــــروي النوبي. اليهود قلقون من البعث الديني في قرى النوبة ذات المستوى التعليمي المرتفع ، وقلقون من اتجاه نساء النوبة نحو الإسلام الصحيح ، لكنهم مطمئنون إلى أنها لا زالت بعيدة عن مرمى الجماعات الإسلامية.
لقد فشلت الحركات الإســـلامـيــة - كما يرى الباحثون اليهود - في تجنيد أتباع لها في القرى المصرية ، لكن الحقيقة المفزعة هي أن القرية المصرية هي التي ولدت (حسن البنا) في المحمودية في عام 1906. وأكد اليهود (لروبرت ميتشيل) أن (المحمودية) قرية وليست مدينة كما كان يتصور وهو يكتب عن تنظيم الإخوان المسلمين. (حسن الهضيبي) - خليفة البنا - ولد في قرية (عرب الصوالحـــة) في منطقة شبين عام 1890. (سيد قطب) المحرك الأساسي للفكر (الأصولي) - كما يرى اليهود - ولد في قرية (موشا) بالقرب من أسيوط.
إن مـدنـــاً مثل طنطا وأبو تيج والأقصر مثلاً كانت في الماضي مجرد مراكز تجارية إقليمية، وأماكن للأضرحة والقباب والاحتفالات بالموالد، تـجـــذب إلـيـهـــا الكثير مـــن الفلاحين المصريين ، لكنها اليوم - إلى جانب ذلك - تشكل مركز إمداد بما يسمى (بالفكر الأصولي) و(الجماعات الأصولية). إن الفلاحين يرسلون أبناءهم إلى هذه المدن للدراسة. الموظـفــــون يفضلون أداء صلاة الجمعة بها. إن مدن المحافظات تعتبر مراكز لنشر سلوكيات الإسلام الصحيح ، وهناك يتعرض الفلاحون لهذا (الفكر الأصولي) كما ظهر من تبني الطلاب من ذوي الأصول الريفية لهذا الفكر.
اهتمامات الباحثين اليهود بما يجري على الساحة المصرية لا حد لها ، ففي الوقت الذي انشغل فيه المراقبون بتطورات حركة الصحوة الإسلامية بما يسمونه بالمظاهر العنيفة لهذه الصحوة ، ودوافع قادتها ، كان الباحثون اليهود مشغولين بدراسة الأبعاد العميقة لهذه الصحوة ، وعلى الساحة المصرية بالذات.
انطلق الباحثون اليهود من مقدمتين أساسيتين بنوا عليهما نتائج دراستهم ، تقول المقدمة الأولى عندهم إن للإسلام مظهرين : أولهما هو الإسلام الصحيح (الذي يعتمد على الأصول) وهو مصدر الخطر الحقيقي عليهم ، لأنه يجمع حوله ما يسمونه بوقود التيار الأصولي والجماعات الإسلامية ، وخاصة المسلحة منها. أما الثاني فيسميه اليهود بالإسلام الشعبي ، وهو عبارة عن

ممارسات للإسلام ذات جذور لا إسلامية بعضها فرعوني ، مثل الاحتفال بعروس النيل واحتفالات الزار ، والموالد ، وعبادة الأضرحة ، واستخدام التعاويذ والتمائم ، وأخذ العهد ، والحلقات الصوفية ، وكذلك كل ما يسلكه الناس في حياتهم اليومية على اعتبار أنه من الدين ، وهو في حقيقته عادات موروثة موغلة في القدم تعتبر من أقدم عادات الأمم في العالم.
أما المقدمة الثانية فتقول : إن السلوك الديني الشعبي ذا الجذور الإسلامية ينتشر في القرية المصرية ، أما سلوكيات الإسلام الصحيح فإنها ترتبط بسكان الحضر المتعلمين. لكن هذه الارتباطات ليست حادة ولا قاطعة ، حيث يمكن أن يختلط الإسلام ذو المظهر الشعبي بالإسلام الصحيح في القرية. ويمكن أن توجد مظاهر عديدة لسلوكيات غير صحيحة للإسلام بين سكان المدن.
من هاتين المقدمتين انطلقت دراسات الباحثين اليهود فانكبوا على دراسة كل ما توافر لديهم من مصادر ومراجع قديمة وحديثة ، لعلها تفيدهم في فهم أبعاد الصحوة في مصر ، والتخطيط لمواجهتها بما يرونه مناسباً. انشغل الباحثون اليهود بمحاولة الإجابة على سؤالين هامين :
الأول : إلى أين تتجه الوفود المهاجرة من الريف المصري إلى المدينة: إلى الإسلام الصحيح ، أم إلى مظاهره غير الصحيحة التي تربت عليها؟
الثاني : هل تفهم الحكومة المصرية وتعي جيداً هذه القضية ، وماذا أعدت لمواجهتها ومدى قوة وفاعلية هذه المواجهة؟
تابع اليهود بدايات الصدام بين دعاة الإسلام الصحيح ، ومظاهر السلوك الديني غير الصحيح منذ بداية القرن التاسع عشر. تركز هذا الصدام على شعائر الوفاة وزيارات الأضرحة واحتفالات الزار والحلقات الصوفية ، وقاده في بعض الأحيان الشباب العائد من القاهرة بعد دراسته في الأزهر ، وساعد على توقده تحسن وسائل الاتصال والمواصلات بين القرية والمدينة.
اليهود مطمئنون إلى أن مظاهر السلوك الديني غير الإسلامي لا زالت قائمة ومنتشرة ومستمرة ، بل إن جانباً منها قد كسي بغطاء إسلامي. إنهم مطمئنون أيضاً إلى أن دعاة الإسلام الصحيح لم يتمكنوا بعد من القضاء تماماً على هذه المظاهر. قارن اليهود قائمة الاحتفالات بالموالد والأولياء في القرن التاسع عشر بتلك القائمة الحديثة التي أعدها باحثون مثل (ماكفرسون) في الأربعينيات و(بانيرث ودي جونج) في الستينيات والسبعينيات. توصل اليهود إلى أن هناك انخفاضاً في كم الاحتفالات بها ، لكن الشعبية الكبيرة لأضرحة الحسين ، والسيدة زينب ، والإمام الشافعي طمأنتهم.
عاد اليهود إلى موقف الأزهر من هذه القضية تاريخياً ، فتوصلوا إلى أن صلابة موقف الأزهر في الدفاع عن الإسلام الصحيح أصبحت في ذمة التاريخ. إنهم اليوم مطمئنون لنجاح الأزهر البالغ في تجنب الجدل الديني حول هذه القضية

، وقدرته على الدفاع عن هذه التركيبة التي تجمع بين الإسلام الصحيح ومظاهره الشعبية ، والفتاوى التي تصدر دفاعاً عن هذا الجانب أو ذاك.
ليست للمسلمين العصريين أية جذور عميقة في تربة الشعب المصري - كما يرى الباحثون اليهود - إنهم كحركة ظهرت بين الصفوة التابعة للفكر الغربي - قابعون بأفكارهم في دوائر الحكومة ويكتبون في صحفها. ويدخل الأزهريون الذين يعملون لصالح الحكومة ضمن فئة هؤلاء المسلمين العصريين ، وإن كانت الصحوة الإسلامية قد أوقعتهم في ورطة شديدة.
التغيرات الدينية في القرية المصرية بطيئة و(الفكر الأصولي) أقل انتشاراً في قرى مصر من مدنها. هذا شيء مطمئن ، لكن دخول هذا الفكر إلى القرية في صورة مواد مطبوعة ، أو عن طريق الزيارات المتكررة لباعة الكتب المتجولين ؛ ووجود هذا الفكر بين صفحات الكتب التي يحتفظ بها معلمو المدارس في مكتباتهم المتواضعة بمنازلهم شيء لا يطمئن. الطبيعة المحافظة للقرية المصرية حالت في نظر اليهود دون انضمام القرويين إلى تنظيم الإخوان المسلمين. لم يكن الفلاحون قادرين على وصل الهوة بين ما توارثوه وبين فكر الإخوان. هذا شيء طيب ، لكن الذي ليس بطيب هو أن الفلاحين المقيمين في المدن هم الذين انضموا لتنظيم الإخوان.
الذي يجري في القرية النوبية لا يطمئن اليهود. صحيح أن الحركات الإسلامية المسلحة لم تنجح في جذب شباب النوبة ؛ لكن النوبيين بعد استيطانهم الجديد ، وبعد تغير قياداتهم التقليدية ، قد تخلصوا من الكثير من الشعائر ذات الأصل الوثني ، واعتدلت حفلاتهم الدينية ، وتقلصت حفلات الذكر والزار.
ويرجع الباحثون اليهود هذا التفكير الديني إلى حركة الذهاب والعودة المتكررة لأبناء النوبة إلى القاهرة من قرى النوبة ، فيعودون إلى أهليهم بأفكار صحيحة عن الإسلام.
انزعج اليهود من مسألة التعليم الرسمي في مصر ، لقد خطط منذ عشرات السنين أن يؤدي التعليم إلى علمنة البلاد ، لكن الذي حدث بالفعل قد خيّب الآمال ، لقد أدى التعليم إلى تغيير الأنماط الاجتماعية الدينية في مصر لصالح (الفكر الأصولي) كما يسميه اليهود. لم يعد يخفى على أحد ارتفاع المستوى التعليمي لشباب الجماعات الإسلامية ، إن نصف هؤلاء الشباب هم طلاب جامعات ، والعديد منهم خريجون مهنيون متعلمون ، وذلك على العكس تماماً من الحالة التعليمية لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين في الأربعينيات والخمسينيات. إن هذا الشباب قد درس العلم والتكنولوجيا ، وهم مؤهلون الآن لما يسميه اليهود بمرحلة (ما بعد العصر) وهي مرحلة تطهر الإسلام من شرور السيطرة الغربية وعادات الاستهلاك الترفي ، والعودة بالأخلاق إلى أحضان الإسلام. سيمكن هذا التعليم الشباب من فهم فكر سيد قطب الذي

يحتاج إلى درجة عالية من التجريد ، كما حدث ويحدث مع رسائل حسن البنا. وتساهم شرائط الفيديو والكاسيت بدور ملحوظ في هذا المجال.
ارتفاع المستوى التعليمي بين الرجال وانتشار أفكار الإسلام الصحيح ساعدهم على معارضة انغماس نسائهم في مظاهر السلوك الديني الخاطئ ، والمشاركة في حفلات الزار. وامتد الأمر إلى مطالبة النساء بتخصيص أماكن لهن في المساجد للصلاة وللاستماع إلى الدروس الدينية. لقد حدث ذلك في القرى كما حدث في المدن. حتى المناطق البدوية في مصر اتجهت إلى الإسلام الصحيح فبنت المساجد واستعانت بأئمة لها من الحضر.
إن لإذاعة القرآن الكريم والبرامج الدينية في التلفزيون المصري شعبية كبيرة بين الفلاحين. لكن هذه الشعبية لا تقلق اليهود فهي شعبية ناتجة عن إشباع لحاجة (عاطفية) وليست (أيديولوجية)0 الذي يزعجهم هو أن يبدأ الفلاحون في فهم معاني الآيات التي يستمعون إليها فهماً صحيحاً. هنا سيتجاوز الاستماع حد النشوة والتأثر الروحي بصوت المقرئ إلى حد التفكر والعمل بها ، وهذا ما يحسب له اليهود ألف حساب.
القاهرة بالنسبة للباحثين اليهود هي المنطقة الوحيدة للأنشطة التي تمثل خطراً حقيقياً على الحكومة وعلى اليهود معاً. القاهرة (إحصائياً) هي المستقبل البشري الأعظم للحركات الأصولية. (تاريخياً) انتقل حسن البنا من الإسماعيلية إلى القاهرة في عام 1932م. وكسب حافظ سلامة شهرته بعد أن رحل إليها من السويس.
تتفاوت أحياء القـاهــــرة فـي خـطــورتها. يصعب على الجماعات الإسلامية - كما يرى الباحثون اليهود - أن تنشر أفكارها في أحياء الجمالية والدرب الأحمر والحسينية ، فهذه الأحياء تقليديـة نسبياً ، وتحتوي على أضرحة وقبور كثيرة ، لكن هذه الجماعات يمكن أن تـجـــــد لها أتباعاً في أحياء ما يسميه اليهود - بحزام الفقر القاهري - قد تجد هذه الجماعات صعوبة في التغلغل إلى الأحياء المركزية الوسطى بالقاهرة ، كما قد يصعب عليها نشر أفكارهـــا بين أفراد الطبقات العليا - الوسطى ، كما حدث لجمعية الشبان المسلمين التي خسف دورها بسبب مخاطبتها لجماعة عالية المستوى اجتماعياً وسياسياً وتعليمياً. لكن القادة الدينيين قد ينجحون في ممارسة دور أكبر في التأثير على أفراد الطبقة الدنيا الوسطى ، كما حدث مع الشيخين عبد الحميد كشك وحافظ سلامة ، وقد ينجحون أيضاً في نشر أفكارهم في أحياء منفتحة على الفكر العصري والفكر الأصولي معاً ، مثلما حصل مع الشيخ حسن البنا في حي الحلمية الجديدة.
الحـكـومـــــــة نفسها - في نظر الباحثين اليهود - قد تخدم هذا الفكر (الأصولي) عن غير قصد(*). إنـهـــا وهي تحاول استخدام الإسلام لصالحها تغذي السلوك الأصولي والتمسك بالإسلام بين أفراد الطبقات الدنيا من

السكان ، كما حدث إبان فترة حكم السادات،حيث ركزت الحكومة على المظاهر الخارجية للشعائر الإسلامية، وحـيـنـمـــا اســتـعـانت بعض الأحــــزاب السياسية ببعض المشايخ للمشاركة في برامجها السياسية التي بدأتها بـتـلاوة القرآن الكريم ، وقدمت تقاويم الصوم في شهر رمضان كهدايا. لا زالت تجربة الإخوان وغيرهم من الإسلاميين في تقديم البرامج الثقافية الفصول المسائية لمساعدة الناس على فهم أمور دينهم عالقة في أذهان اليهود ، لذلك فإنهم يحذرون من هذه الجمعيات التي تعطي دروساً في القرآن والدين في الأحياء المختلفة. إنها ستجذب بلا شك أعداداً من المهاجرين من الريف ، وكذلك الجمعيات الخيرية والمساجد كلها مراكز تجنيد جاهزة يمكن أن تستغلها الجماعات الإسلامية.

أمـا كــيـف يسـتـقـبـل القرويون المهاجرون إلى المدن الأفكار (الأصولية) والأفكار (القرآنية) بالذات فهي منطقة لا تـزال تحـــت أعـين الباحثين اليهود ، كما أن أعينهم تركز عليهم وتراقبهم في القاهرة والإسكندرية وغيرهـمـــا مــــن المدن. هل سيسلكون الطريق إلى الإسلام الصحيح أم سيحافظون على عاداتهم التي قدموا بها من الريف؟

ما عرضناه هو جانب من جوانب اهـتـمـامــات الباحثين اليهود. كتبوه ونشروه دون أدنى اعتبار لإمكانية اسـتـفـادتـنـا مــنـــه لأنهم واثقون من مقالة (موشي دايان): »إن العرب لا يقرأون، وإذا قرأوا لا يفهمون«.

الهوامش:

*- يلتقي تحليل اليهود هنا مع تحليل كثير من العلمانيين وفلول الشيوعيين الذين خفتت أصواتهم ، ويعاد النفخ فيها من جديد لموازنة ثقل الإسلاميين.
- البيان -

1- انظر: Uri Kupferschmidt, Reformist and Militant Islam in Rural and Urban Egypt, Middle Eastern Studies, Vol:23, 4, Oct. 1987 pp.403-418.

بالرغم من أن هذه الدراسة ظهرت كاملة في عام 1987 فإن مسودتها قد قدمت إلى حلقة (دراسة الإسلام بين الريف والحضر في منطقة غرب أفريقيا) التي عقدتها الجامعة العبرية بالقدس في يونيو 1983.

2- يقول »إيمانويل سيفان) عضو معهد الدراسات المتقدمة في برنستون ، وأستاذ للتاريخ الأوربي الحديث وتاريخ الشرق الأوسط في الجامعة العبرية بالقدس ، ورئيس تحرير مجلة (جيروزاليم كوارترلي): »ربما كانت قصة جريدة اللواء الإسلامي من أعظم قصص النجاح العربي الملحوظ في الأعوام الأخيرة. ظهرت الجريدة في عام 1981 كملحق ديني لجريدة الحزب الحاكم (مايو) وتحولت في عام 1982 إلى جريدة أسبوعية مستقلة تصدرها مطابع الحزب الحاكم. إن العالم الذي تتعامل معه الجريدة هو عالم الأشباح والموتى والجن الضار وغير الضار. عالم مليء بغواية

الشيطان وأتباعه وعلى المؤمن أن يتجه إلى أحد الرجال المقدسين أو إلى المعجزات إذا دعت الحاجة. عالم يتصل فيه المؤمن بالموتى وخاصة من الأقارب يومياً. الموت والآخرة والخطيئة التي يستحق عليها العقاب مظاهر دائمة الحضور في الجريدة ، إنه عالم القرون الوسطى. إن نوع التدين الذي تقدمه الجريدة لا ينفصل عن النوع الذي يقدمه المسلمون والعصريون الذين يعطون تفسيرات نفسية للأرواح الشريرة والشيطان ويعطون المعجزات أهمية رمزية.
انظر: Emmanuel Sivan, The Two Faces of Fundamentalism, The Jerusalem Q., 27 , Spring, 1983 , pp. 127-144.

شعر

البشناق .. والنظام الجديد!!

د. محمد بن ظافر الشهري

سمعت من مصادرٍ قريبةْ
وثيقة الصلةْ
»صدىً« لما يقال من بعيد
بأنَّ حلِ كل معضلةْ
نظام عالَمٍ جديد

* * *

أَمِرِكَا.. وهيئةُ الأممْ
كلاهما لغةْ
طالبتا بعودة السلام!
أيدتا حرية البشرْ!
نددتا بالقهر للشعوبْ!
وفكرة السادة والعبيدْ
قررتا أن يحكم »النُّظُمْ«
نظامُ عالَمٍ جديدْ

* * *

وأعلنت أَمِرِكا
في ثوبها الجديدْ
بأنها قد كفرت
بالنار والحديد!
وأنها قد فتحت
فؤادَها الكبيرْ!
وأنها قد سَخّرتْ

ذراعها » القصيرْ«!
لنصرة الضعيفْ
ونجدة الفقيرْ
وقد أشيع أنها
تريد أن تتوبْ
من كل ما جنتهُ
من »صغائر« الذنوبْ
فما جرى لدولة اليابانِ
من قديمْ
وما جرى لكوريا
وحرب فِيتنَامْ
وكل من أُذِلَّ
بل وكل من أبيدْ
فذاك ذنب واحدٌ
يمحوه أو يزيدْ
نظام عالمٍ جديدْ
* * *
وأنكرت أَمِركا جريمةَ العراقْ
في غزوه الكويتْ
وأجلبت بالغيدِ والرجالْ
فعادت الكويتْ
وبدأت كارثة البشناقْ
فانتظر العَربْ
فخامة »اللورنسِ« أن يجيبْ
وعندما تأخر الجوابْ
وطفقت تُقَطَّعُ الرقابْ
وأُتْخِمَ النسور والكلابْ
تكرر النداءْ
فقرر »اللورنسُ« أن يجيب
واستنكر التمثيل بالقتيل
وطلب »الأمانْ«
كي يرسل »الفستق والحليبْ«
فصفق الجميعْ
وأعلنوا التأييدْ
لكل ما يقرهُ

نظام عالَمٍ جديدْ
* * *
وصرحت أَمِرِكا
سادنة الصليبْ
بأنها قد سئمت
من خوضها الحروب
فمحنة البشناق لا تقاس بالكويتْ
فلم تكن دماؤهمْ
مَشُوبَةً بزيتْ
ولم تكن بلادهم
واضحة الحدودْ
ولم يُصَبْ »شيوخهم«
فالقتل للشبابْ
والحل أن يستبدل »السلام بالتراب«
وخير ما يدعم هذا الطلبَ السديدْ
نظام عالم جديد
* * *
أيتها المصادر »القريبةْ«
أما ترين الفجرَ من بعيدْ:
»والمارد« القديم قد أفاقْ
من نومه الطويلْ
ولن يفيد »القمعُ والوفاق«
فعزمه أكيدْ
يريد أن يُحَكِّم الكتابْ
وينشرَ السنةَ والحجابْ
ولن يحول بينهْ
وبين ما يريد
نظام عالَمٍ جديدْ.

شعر

برقية استنجاد

أحمد بن عايش المزني

أنا من ليه؟ أنا من ليه؟ من للنفوس الزاكـيـة؟
مـن للغـوانـي والشـيـوخ وللـعـيـون الباكـيــة؟

مـن للأرامـل واليـتـامـى والدمـوع الجاريـــة؟
مـن للـثـكـالى؟ والضـياعُ يطـوف أرض الغاليـة
مـن للحـوامـل؟ بُقّـرت أرحامـهـن بأرضيـه!!
مـن للـعـرايـا؟ ألـبـسـوهـنّ الـثـيـاب البالـيــة
مـن للـحـدائـق والمـروج ولـلـبـلابـل شـاديـــة؟
مـن للـجـبـال الشـامـخـات وللقصور العالية؟
أنا من ليه؟ يا أمة الإسلام قولي : من لـيــه؟!
أَلِيَ القـرارات التي فاحـت وعـوداً خاويـة؟!
أَلِيَ الـكـلام منمـقـاً خُـطَـبٌ تَـرَدَّدُ راغـيـة؟!
أَلِـيَ القـصـائـد؟ أحسـن الشعراء فيّ القافـيــة
أَلِيَ الدمـوع المسبَلات من العيون الصافـيـة؟!
يـا أمـتـي أنـا لا أريـد قـصـائـداً مـتـنـاجـيـــة
يـا أمـتـي أنـا لا أريـد الـعـيـن تمسي باكيــة
يـا أمـتـي أهـوى الجحافـل زاحفات عاتيـــة
يا أمـتـي أهوى الجيوش تسير نحوي غازيـــة
أهـوى الشـبـاب مـجـاهداً في ظل حرب دامية
أهـوى شـبـابـاً عـزمـه دكَّ الجــبـال الراسـية
أهـوى شـبـابـاً ليس يعكف حول كأس الغانية
كــلا ولا يقضي الليالي عند ثغر الـشــاديـــــة
أهـــواه يحـــرس جـنـده فـي ليلة ما شاتيـة
يـا أمتي طــال الـنـفـاق بأرضــك الـمـترامية
أكثرت من عقد المجالس والنتائج ماهـيــــة؟
يـا أمـــتي أنـــا »بوسنةٌ« أشكو فقـولي : من ليه؟
أين الرجال إذا دُعوا هبوا لخوض الغاشـيـة؟
أين بن مَعْدْي؟ أين خالـد؟ أين راح معـاويـة؟
أيـن الأُلى؟ مـلـؤوا الـبـلاد عـدالـــة ورفاهـيـة
أنـــا من ليه؟ يا أمة الإسلام قولي : من ليه؟!
فلتُـقـدِمي بجـحـافــلِ صيحاتـهـا مـتـعـالية..
فلتسرعي يا أمتي ، أو فابعثي بالتعـزيـــة!.

المسلمون والعالم

المسلمون في رومانيا

محمد عبد الغفور

رومانيا إحدى دول أوربا الشرقية وتقع في شمال شبه جزيرة البلقان ، ويحدها الاتحاد السوفييتي (سابقاً) من الشمال وبلغاريا من الجنوب ، والمجر من الغرب ، ويوغسلافيا من الجنوب الغربي والبحر الأسود من الشرق.

تبلغ مساحتها (237500) كم^2، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة وعشرين مليون نسمة. أما العاصمة فهي (بوخارست) التي يصل عدد سكانها إلى مليون ونصف ، ومن المدن الشهيرة - كلوج - قنسطانطة - براسوف. وتعتبر قنسطانطة مركز تجمع للمسلمين على البحر الأسود.

تقدر المصادر الرسمية عدد المسلمين بمائة ألف نسمة لكن عددهم أكبر من هذا. والمسلمون ينحدرون من قوميتين رئيستين هما: التتر والأتراك إضافة إلى أقلية من الرومان.

تاريخ الإسلام في رومانيا:

دخل الإسلام رومانيا بواسطة أفواج من الدعاة الأتراك التي كانت تجوب سواحل البحر الأسود ، وبقيت الدعوة قائمة على جهود هؤلاء قرنين من الزمن ، حتى فتح العثمانيون هذه البلاد على مراحل منذ عام (814 هـ - 1411م) وحتى (819 هـ -1416م) وأمام تساهل المسلمين مع سكان البلاد فقد فضلوهم على تعصب النصارى المتمثل في أسرة - بسبورج - وقد شهد بهذا الأمر (بطريق أنطاكية) وهو يصف الفظائع التي أوقعها سكان بولندا من النصارى الكاثوليك بالنصارى الأرثوذكس. حيث يقول : »إن ضحايا هذه الأحداث كانوا ثمانين ألفاً ، وختم شهادته بقوله : »أدام الله بقاء دولة الترك ، فهم يأخذون الجزية التي فرضوها ولا شأن لهم بالأديان«.

ولقد أثمرت دعوة التسامح الديني هذه ودفعت بالكثير من سكان رومانيا إلى الدخول في الإسلام ، وخاصة في المنطقة الشرقية التي حافظت على إسلامها بالرغم من كل الاضطهاد الذي وقع للمسلمين بعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة العثمانيين أمام القوى المحلية في المنطقة. والتي اضطرت آلاف المسلمين الرومان إلى الهجرة والفرار إلى تركيا هرباً من الاضطهاد حيث كان عددهم مليوناً ونصفاً وتراجع إلى مائتين وعشرين ألف عام 1927 ، ثم واصل المؤشر السكاني التراجع بعد سيطرة الشيوعيين على الحكم.

المساجد في رومانيا:

يبلغ عدد المساجد الأصلية في رومانيا 62 مسجداً حول الشيوعيون أعداداً كبيرة منها إلى مستودعات أو قاعات رقص وملاه أو فلل للسكن أو زرائب. وقد شاهدت بأم عيني - أثناء استطلاعي في مدينة قنسطانطة - مسجداً حولوه إلى ملهى. ومنارته ما زالت موجودة إلا جزأها العلوي والمحراب لا زال كما هو ، وقد التقطنا له بعض الصور. وقد شاهدنا مسجداً آخر بكامل هيئته قد حوّل إلى فيلا سكنية للإيجار حيث إن المنطقة سياحية على شاطئ البحر.

ولم يبق من المساجد إلا 38 مسجداً موزعة على مدينة (المجيدية ، قنسطانطة ، كوستانجا ، منفاليا ، تولسيه ، بخارست ، باباراغ) ، وأغلب المساجد مغلقة الأبواب لعدم وجود أئمة متفرغين ولتدني رواتبهم. ولعدم توفر الدعاة المخلصين الذين يتولون إحياء هذه المساجد وإعادتها إلى ما كانت عليه ، ولا نقلل هنا من تأثير الجانب المادي في هذا المضمار من ناحية الصيانة ومن ناحية تفرغ الدعاة والمدرسين.

المدرسة المجيدية :

يعتبر جميع الأئمة وأصحاب العلم الشرعي في رومانيا من خريجي المدرسة المجيدية المشهورة التي أغلقت أبوابها منذ عشرين عاماً عندما حولها الطاغية شاوشيسكو إلى جمعية تعاونية زراعية ، وقد عادت المدرسة إلى المسلمين أطلالاً بعد هلاكه أخيراً ، وتنتظر من المسلمين الغيورين وأصحاب النخوة من أغنيائهم أن يمدوا يد العون من أجل إعادة المدرسة لتكون منارة علم لمسلمي رومانيا الذين يعقدون عليها الآمال العريضة. مع العلم بأن المدرسة كانت إحدى ثلاث مدراس شهيرة في أوربا الشرقية. الأولى مدرسة الغازي خسروبيك في سراييفو ، والثانية مدرسة ذا النواب في "شومن" ، والثالثة المدرسة المجيدية هذه. وتقع في مدينة المجيدية على الطريق الرئيسي الذي يربط بوخارست بالبحر الأسود - قنسطانطة.

الدين المعاملة :

كان المسلمون مضرب المثل في الصدق والأمانة بتعاملهم مع الآخرين ، وكان ، الرومان يضربون بهم المثل فيقولون (صادق كالمسلمين) هذا ما قاله المفتي محمد يعقوب والداعية الروماني "سليم صباح الدين".

أما اليوم وللأسف الشديد فيوجد أكثر من خمسة آلاف طالب عربي في جامعات رومانيا ومعظمهم ينسى دينه وإسلامه ويذوب في المجتمع الكافر ، ويعطي صورة سيئة غير مشرفة ، عن دينه وعقيدته وبلاده.

ماذا يطلب المسلمون هناك من إخوانهم:

ويطالب هؤلاء الإخوة بمراكز إسلامية ترعى شؤونهم وتسعى لتأصيل الإسلام في نفوسهم. ويطالب الأخ سليم صباح الدين لمسلمي رومانيا بدعم مادي لترميم وبناء المساجد والمدارس وبإرسال مدرسين ودعاة وبإيجاد منح دراسية لأبنائهم في بلاد المسلمين. كما يحتاجون إلى مصاحف وكتب مترجمة وأشرطة وغيرها تساعد على فهم العقيدة بمفهومها الصحيح.

وللأسف الشديد فإنه بعد انحسار الشيوعية يتطلع الناس جميعاً في أوربا الشرقية لدراسة الأديان عامة. ولذلك فقد استغلت الكنيسة هذه الفرصة الذهبية ووزعت خمسين مليون نسخة من الإنجيل في أوربا الشرقية وبلغاتهم المحلية ، بينما يعجز المسلمون في كثير من البلدان عن طباعة القرآن الكريم ، ناهيك عن ترجمته.

والحزب الشيوعي كان قد قام بإبادة أي صلات ثقافية بين المسلمين الرومان وبين الإسلام. ولم يبق هناك أي نشرة أو كتاب باللغة الرومانية أو التركية تتحدث عن الإسلام.

وقد لاحظت وجود دعاة إيرانيين نشطـيـن وأغلبهم طبعاً من الطلاب ومنظمين بشكل ملفت للنظر ، وعندهم إمكانات كبيرة ، ويحاولـــون الـتــأثير على الطلاب العرب بنشر مذهبهم بينهم ، مع العلم أنهم في البداية يبتعدون قدر الإمـكـــان عن إثارة الخلافات بين مذهب السنة والشيعة ليتمكنوا من البعض بحسن المعاملة ثم يكشفون عن أنفسهم وحقيقة تعصبهم وعدائهم لكل ما هو غير شيعي.

دور الدعاة :

ولا نغفل في هذا المضمار دور الدعاة المخلصين في نشر الإسلام. حيث يحكي لنا التاريخ عن داعية اسمه : »سامي سالينك« أول داعية مسلم تركي أدخل الإسلام إلى رومانيا قبل دخول العثمانيين بقرنين من الزمن.

ما هذا العداء للإسلام في تونس؟!

مؤمن الشاهد

توقع بعض المسلمين أن يكون العهـد الجديد في تونس أفضل من العهد البورقيبي . لقد كان الحبيب بورقيبة واضحاً في حربه لـلإســلام ، وكـان لا يتورع في معظم أحاديثه وخطبه أن يصف الإسلام بالتخلف والجمود ، وأن يسيء إلـى الشـعـائـر الإسلامية ، ويحرض الناس على عدم الصيام حتى يتمكنوا من (العمل) وحتى تتقدم تونس!.

وفعلاً.. تقدمت تونس في عهد الحبيب كثيراً.. لكن إلى الخـلـف! لـقـد نجحـت في صناعة أفخر أنواع (الزلابيا) وأشهى أنواع (الكسكسي) وأجمل أماكن الترويح السياحـي الحلال.. وغير الحلال!!

وعندما جاء العهد الجديد على أنقاض العهد البورقيبي ظن الناس أن موقفه من الإسلام قد تغير ، وقد قدم بعض التنازلات التي يعلم أنها تهدهد المشاعر الإسلامية..

فبينما كان المخطط البورقيبي الموجه مباشرة من حصون العلمنة الكنسية الفرنسية يتجه إلى تهـمـيـش جـامـعة الزيتونة وتحويلها إلى كلية هزيلة ، ومراقبة كل أجهزتها مراقبة دقيقة لضمان عدم الحــركة في الاتجاه الإسلامي الموضوعي الإيجابي.. جاء النظام الجديد يلعب على هذا الوتر ، فيتظاهر بإعادة مجد الزيتونة ويسمح لها ببعض الانتعاش ، ويأمر رجاله فـي الإعــلام

بالتـركـيـز على هــذه الـمنحة الكريمة!! كما يسمح النظام بإذاعة الأذان في التلفزيون عند كل صلاة.. وإذاعة بعض الآيات القرآنية الكريمة!!
ومضت شهور التخدير.. وبدأت الحقائق تتكشف...
إن النظام يمنح المسلمين هدايا شكلية ، لكنه يمضي في مخطط هائل يعتمد على القوة والسرعة والذكاء والصمت للقضاء على كل المضامين الإسلامية الحقيقية..
لقد أفرج عن المسلمين المحكوم عليهم ، ليصادر كل حقوقهم في الحياة في ظلال دينهم.. لقد أعطاهم الدنيا ليعطوه الدين ، فلما تبين له أن الناس لا يقبلون هذه الصفقة الخاسرة ، صادر - فوراً - كل حقوقهم في الحركة والعمل والحوار ، مستخدماً شعارات كاذبة يرفضها أنصاف المثقفين ، فضلاً عن روح العصر الديمقراطية.. وقد باءت كل محاولات الإسلاميين للحوار مع النظام بالفشل ؛ لأن النظام كان يريد موقفاً واحداً محدداً ، وهو ترك الهوية الإسلامية ، وعدم الإلحاح على التعليم العربي أو التربية الإسلامية.
إن الصفقة التي كانت قد أبرمت مع العهد الجديد فيما يبدو كانت صارمة من هذا الجانب ، وهي لم تسمح بأية ثغرات ينفذ منها العمل الإسلامي ، ومن هنا روَّج النظام لشعار (تجفيف المنابع الإسلامية) أي استئصال كل فكر يحقق الانتماء الإسلامي.. أو يحافظ على الهوية الإسلامية أو الشعور الإسلامي الحيّ الدافق!!
وفي مقالة الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ 5/8/1992 يتحدث »غالي شكري« عن مذبحة الكتاب العربي في معرض الكتاب بتونس [وغالي شكري - بالمناسبة - كاتب لا يمكن وصفه بالتحيز للإسلام أو الدفاع عن قضاياه أو التطرف له] فيأسف »شكري« لأن السلطات التونسية رفضت أن يعرض في معرض الكتاب العربي الذي عقد بتونس أي كتاب إسلامي سواء كان الكتاب للشهيد »سيد قطب« أو للشيخ »محمد الغزالي« أو للشيخ »محمد متولي الشعراوي« على اختلاف مستويات التعبير عند هؤلاء !!
بل إن هذه السلطات قد ارتكبت جريمة كبرى في حق العروبة والإسلام وحرية الفكر ، حين منعت الإنتاج العلمي لمؤلفين إسلاميين وعرب بالجملة.. فليس الأمر مصادرة لفكر معين ، ولا لكتاب واحد ، بل هو مصادرة للفكر الإسلامي بالجملة.
وما يقوله »غالي شكري« صحيح ، لكن »غالي شكري« لم يتطرق لتفسير ذلك ، واكتفى بالأسف من هذا الأسلوب المتخلف المناهض للفكرة القومية القائمة على تواصل الفكر.. والحقيقة أن النظام التونسي الحاكم لا يؤمن بتواصل الفكر لا على أساس العروبة.. ولا على أساس الإسلام ، بل يؤمن به على أساس فكر آخر لا يمت للإسلام ولا للعروبة بصلة ، وهذا ما تؤكده

مسيرة هذا النظام منذ ثبتت قواعده ، وعبر حواجز البورقيبية ، وضمن السيطرة على الأمور.. ونزيد الأمر إيضاحاً في السطور التالية..
لئن كان النظام قد أعطى الشعب التونسي المسلم بعض المظاهر الشكلية الإسلامية التي داعبت وجدانه وألهبت خياله بآمال عريضة ، بعد أن عاش أكثر من ثلاثة عقود تحت القهر البورقيبي العلماني : فإنه - في مجال الفعالية الحقيقية - قد أعطى الشيوعيين والعلمانيين والمتفرنسين المواقع التربوية والإعلامية والحزبية..
فالأستاذ محمد الشرفي (أحد كبار الماركسيين) عين كاتباً للدولة لشئون التربية (وزير التربية) وهو منذ احتل موقعه الوزاري يمشي بخطوات سريعة وقوية في سبيل علمنة المناهج وإزالة أية بصمات عربية أو إسلامية منها(2) ، وقد جعل المادة الدينية هامشية للغاية ، وكيفّت المادة لتصبح معبرة عن الفكر اليساري التقدمي ، مثلما كانت المادة تكيف في البلاد الشيوعية أيام سيطرة الفكر الشيوعي.
كما شكل الوزير لجاناً تعمل بتوجيهه المباشر لتنقية كتب الأدب والمطالعة والإنشاء والنحو والتاريخ والجغرافيا من التأثيرات الإسلامية. والأستاذ (محمد الشرفي) [وزير التربية] عرف بتطرفه الشيوعي منذ العهد البورقيبي ، وقد سجنه الرئيس (بورقيبة) لفترات طويلة ، ومن الغريب أنه في عهد الزوال العالمي للشيوعية يقع عليه الاختيار من قبل النظام التونسي ليصبح وزيراً لأخطر وزارة (وهي وزارة التربية) في بلد حاول نظامه أن يتظاهر بالإسلام لعدد من الشهور!!
والملاحظ أن العهد الجديد (عهد الرئيس بن علي) يستعين بالشيوعيين في مواقع كثيرة ، على أساس أنهم الأنكى والأقدر على استئصال البصمات الإسلامية ، وأيضاً لكي يثير الإسلاميين ويغيظهم ، فيندفع بعض الأحداث ممن لا يعرفون الخطة التي يهدف إليها النظام ، فيقعون في بعض الأخطاء ، فيعطون الحكم الفرصة الذهبية للإجهاز عليهم!! ومع ذلك فالنظام قد لا يحتاج كثيراً لهذه الأخطاء ، فقد تعلم من بعض النظم المتخصصة في حرب الإسلام وسائل تلفيق التهم ، والاعتماد على هذا التلفيق لضرب الجميع وتشويه الإسلام ، وتحريض الغوغاء ضد الجماعات الإسلامية المسكينة!
وبما أن النظام التونسي يتعرض لضغوط علمانية كثيرة ذات صلة قوية به ، فإنه لم يتحمل الصبر كثيراً على تمثيله (إنقاذ الزيتونة) وإعادة غابر مجدها ، حتى تصبح - كما كانت - صنْو الأزهر أو قريبة منه.. ولهذا لم يلبث أن انقلب على الزيتونة فشلَّ حركتها ، ولم يمنحها - من الناحية العملية - إلا الوعود المعسولة.. وفي ضوء هذا فإن مديريْ الزيتونة اللذين تناوبا عليها وهما »الدكتور التهامي نجرة« و»الدكتور أبو لبابة حسين« لم يستطيعا أن يفعلا

شيئاً يذكر ، بل أقيل الأخير إقالة غير كريمة ، مع أنه كان حريصاً على دفع عجلة الإصلاح بهدوء ورفق!!
وقد أصبحت الزيتونة الآن تحت التوجيه المباشر لرجل الدولة القوي الدكتور علي الشابي (كاتب الدولة للشئون الدينية) الذي يشبه - تماماً - وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد علي محجوب (إنه وزير التطرف وكفى)!!
وقد مكن الدكتور الشابي لابن أخته (أنس الشابي) الذي تخرج على يديه في فرع الشريعة بالزيتونة ، مع أنه يناوئ الشريعة ويصفها بنعوت لا تليق ، وهو يتحرك في الزيتونة على أساس صلته بخاله (علي الشابي) ، ويفعل ما يشاء !!
وقد صدر توجيه بتقليص عدد الطلاب الملتحقين بجامعة الزيتونة ، وفي العام 1991م لم يدخل الجامعة أكثر من (220 طالباً) موزعين على الكليات الإسلامية الثلاث : الشريعة وأصول الدين واللغة العربية والعلوم الإنسانية ، وقد عطل مسار الرسائل الجامعية للماجستير (دكتوراه الدرجة الثالثة) والدكتوراه (دكتوراه الدولة) فأرغم الطلاب الممتازون والأساتذة الأكفاء في الزيتونة للبحث عن العلم في معاهد وكليات باريس ، وكان هذا هو المقصود ، كما هاجر بعضهم للعمل في الجزائر والسعودية وغيرهما ، وقد ضيق على الأساتذة الأكفاء المعتدلين وأقصوا عن المجالس العلمية (المنتخبة) ووضع بدلاً منهم بالتعيين الجبري بعض تلامذتهم ومساعديهم من الرتب الإدارية السفلى!!
ولم يكن هذا كل ما أصاب الزيتونة في العهد الجديد الذي كان يعتبر اهتمامه بالزيتونة مفخرته التي يدل بها على الشعب التونسي المقهور ؛ بل تمادى النظام في غيِّه ، فقد قام بإضعاف البرامج وتهميش الجوانب الأصيلة فيها ، وتمييع حقائقها الإسلامية لتواكب الفكر العلماني المهيمن ، وقد وكل إلى تلامذة الدكتور (علي الشابي) مسئولية وضع برامج من وجهة نظر أحادية ، وكان له شخصياً الكلمة الأولى والأخيرة في هذه البرامج.
وليضمن الدكتور الشابي (وهو كاتب الدولة للشئون الدينية ولا علاقة له عملياً بجامعة الزيتونة) تنفيذ سياسة الدولة التي فوض في فرضها على الزيتونة ، فإنه وضع تلامذته وأصدقاءه على رأس الكليات الزيتونية الثلاث ، فعلى رأس الشريعة : (حمودة السَّعفي) وعلى رأس أصول الدين (جلول الجريبي) وعلى رأس العلوم العربية والاجتماعية (محسن العابد).. أما رئيس الجامعة بعد إقالة الدكتور أبو لبابة حسين (بطريقة غير كريمة) ، فكانت من نصيب تلميذ الشابي (عبد المجيد بن حمدة)...!!
وهكذا عادت الزيتونة سيرتها الأولى في العهد البورقيبي ، لينشغل أساتذتها وطلابها المساكين بصراعات القوى المتطاحنة ، وليخاف الجميع من الجميع ، وتنكسر نفوس الجميع ، وينكمش الجميع منتظرين الفرج القريب!!

ومن الغرائب أن جامعة الزيتونة (الإسلامية) يفرض فيها الاختلاط ، ويروج للعري الفاضح بين الطالبات والموظفات ، وتمنع فيها الصلوات الجماعية ، وأصبح مسجدها خالياً من المصلين.. وقد برمجت الدراسة في الزيتونة بطريقة غريبة تدل على المؤامرة الماكرة ، فالدراسة لا تزيد عن أربع ساعات فقط ، [بالضبط لا تزيد الدراسة عن مائتين وأربعين دقيقة من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية عشرة] ، وبعد ذلك ينصرف الجميع حتى لا يجتمعوا لا في صلاة ، ولا يألفوا الصلاة جماعة ، ولا يظهروا الزيتونة بمظهر إسلامي نشاز عن السمفونية العلمانية العامة المفروضة على كل معاهد التعليم ومدارسه في تونس المسكينة (الأندلس الجديدة)!!
نعم : هذه الجامعة الإسلامية العريقة لا يسمح بطلب العلم فيها إلا أربع ساعات فقط في اليوم !! ثم تغلق أبوابها لتبقى أفريقيا شمالاً وشرقاً ووسطاً وجنوباً مهيأة لمدارس التنصير وكليات التنصير!!
والحذار الحذار من أي معروف أو نهي عن منكر في الزيتونة فإن رجال البوليس السري مندسّون في كل مكان يحافظون على الفساد ، ويعتقلون كل من تسول له نفسه (التطرف) بمقاومة المنكر حتى ولو بالكلمة الهادئة الحكيمة! وحتى ولو في داخل واحدة من أقدم الجامعات الإسلامية الثلاث العريقة في العالم الإسلامي!
والويل لمن يشتبه في تعاطفه مع الإسلام من الأساتذة في الزيتونة أو في أي جامعة تونسية.. إنه ينحى عن كل اللجان وعن الخطط والمسئوليات ، وعن التكليف بمهمات ، ويوضع تحت الرقابة المباشرة وغير المباشرة!
فإذا تركنا الزيتونة وحالها المبكي وانتقلنا إلى الحياة الاجتماعية وجدنا فرض التفسّخ والعري ، والزنا والسماح (الرسمي) بالمواخير التي تشرف عليها وزارات السياحة والصحة.. وقد أصبح ممنوعاً رسمياً توظيف المحجبة ، وقد وضع رجال الفكر الحرّ والمتدينون تحت أجهزة الرصد والتنصت ، وأصبحوا يعيشون في خوف من الملاحقة والتهديد بالطرد والإيقاف. وقد نجح الشيوعيون الذين قربهم النظام ليضرب بهم الصحوة الإسلامية- - في الإيقاع بين النظام والشعب ، فبعد أن كان النظام يحظى بعطفٍ شديد بعد طرده لعدو الإسلام الحبيب بورقيبة - أصبح الآن بعيداً عن كل صور الحب والعطف ، وأصبح الناس يعيشون معه مثلما يعيشون تحت قبضة أي نظام قمعي شمولي يكره الإسلام ويتذرع بكل الوسائل والمغالطات من أجل تشويهه ومنع الناس من الحياة في ظلاله !!
إن الشعب يقرأ الصحفة فلا يجد فيها أثراً للإيمان ، بل كل من فيها هم من الشيوعيين واليساريين والعلمانيين من أمثال زكريا كريشان ، ومحمد الطرودي ، وأنس الشابي ، ومنظر الرويثي (وزير الثقافة المعزول) وحمد النيفر صاحب مجلة (15/ 21) الأسبوعية اليسارية.

ولا توجد مجلة إسلامية في تونس إلا مجلة دار الإفتاء الدورية التي تقدم بحوثاً أكاديمية ميّتة أو ردوداً على استفتاءات ولا علاقة لها بمأساة الشعب التونسي المسلم ، ولا بالمؤامرة التي تمضي في صمت لاستئصال الإسلام والعروبة في تونس ، ويساعد على نجاحها كتابة الدولة للشئون الدينية ، وبعض رجال الزيتونة!!.

أما كتابة الدولة للعدل فهي مستعدة للوقوف ضد كل بادرة إسلام ، وضمان الحكم بأسوأ الأحكام ، والمساعدة على تلفيق التهم وإحضار شهود الزور.. وعلى رأسها رجل ذو تاريخ مشبوه معروف ، وسمعته الوظيفية والأخلاقية ملوثة.

بقي أن نذكر أن مفهوم (التطرف) يختلف في تونس عن مفهومه في مصر أو الجزائر أو في أي بلد عربي أو إسلامي ، ولا حتى أمريكي أو أوربي.

إن مقاومة التطرف تعني عند هؤلاء جميعاً : الوقوف ضد الإسلام الحضاري والسياسي ، وحصار الإسلام في نطاق العقيدة والعبادات من صلاة وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ...

فلا مانع لدى أمريكا وأوربا من الصلاة والصيام والحج ، وكذلك لدى كل النظم العلمانية الموجودة .. ويأتي (التطرف) عندما يحاول المسلمون إصلاح الدنيا بالدين ، أو الحكم على الدولة وقياس أعمالها بمبادئ الإسلام.

لكن التطرف فـي (تـونـــس) مختلف تماماً عن (التطرف) عند كل هؤلاء..إنه تطرف تقدم خطوة كبيرة، فـحـصــــــر الإســـــلام في دائرة العقيدة القلبية ، وضم العبادات إلى قائمة (التطرف).. وعلى ضوء هذا فإن كل من يصلي ، ولا سيما إذا كان شاباً أو شابة أو مسئولاً أو موظفاً أو رجل شرطة أو جيش هـــــو (متطرف) ويجب تنحيته.. وقد يُتجوّز مع صلاة الجمعة لصعوبة حصار الناس ومراقبتهم فـيـهــا ، أما في غيرها من الصلوات فإن أداءها في المساجد (وحتى لو اكتشفت في البيوت) يعتبر تـطـرفاً.. ولهذا لا تفتح المساجد إلا في أضيق الحدود! وكذلك لا يسمح بدروس، ولا يوجد مساجد في المؤسسات حتى مسجد دار الإفتاء تم إغلاقه! ومن باب أولى لا توجــــد مساجد في الجامعات ولا الكليات.. وقد وقع الرجوع إلى قانون (108) الذي يمنع الفـتـيـــات مـــــن الحـجــاب في المدارس الإعدادية والثانوية والكليات.. لأن الحجاب - كذلك - مظهر من مظاهر التطرف !!

أما العري والاختلاط والخمور التي تباع في أصغر الحوانيت، وصور التبذُّل الرسمي الحرام تحت بند السياحة والترويح ، فهي اعتدال وتقدمية. ومصدر خير للبلاد والعباد!.

أيها المسلمون.. في أنحاء الكرة الأرضية : في تونس القيروان في تونس عقبة وحسان.. هناك بوسنة وهرسك أخرى يذبح فيها الإسلام والمسلمون

بطريقة صامتة، وقد تولولون عليها يوماً وتبكون دماً وتحتجون بجهلكم وغفلتكم.. ألا هل بلغت... اللهم فاشهد.

الهوامش:

1- غالى شكري قبطي، ومن تلاميذ لويس عوض ، يحمل قلم الدفاع عن الأقباط واتجاهات اليسار.

-البيان -

2- الشيوعيون في بلادنا أبداً عملاء لكل معاد للإسلام يستخدمهم لموازنة ما هو شائع، من مبدأ:لا يفل الحديد إلا الحديد.

مقتل الدكتور علي مظفريان

مبارك المبارك

قتل قبل مدة وجيزة الداعية الفاضل الدكتور علي مظفريان وهو من أبناء الشيعة في شيراز، ومن الذين هداهم الله إلى الحق وترك الابتداع ، فبعد أن منّ الله عليه بالهداية قام داعية إلى مذهب أهل السنة في بلده - شيراز - وذلك أيام دراسته في الجامعة.

وكان حجر عثرة أمام الجامعة وقيادات الرافضة في ذلك البلد ، وقد هدى الله على يديه خلقاً من الناس ، والتف حوله أهل السنة في بلده ، وأصبح موجهاً لهم وداعماً ، وثبت وصبر رغم المضايقات الشديدة التي تعرض لها بسبب جهره بالدعوة إلى الحق في وسط أهل البدعة والرفض ، مما حدا بالسلطات أخيراً إلى اعتقاله قبل أشهر ثم إعدامه أخيراً بعد إلصاق التهم به ومنها الوهابية والجاسوسية وغيرها.

وقد حاولت السلطات إرغامه كي يخط بيده اعتذاراً أو تراجعاً ، لكنه أبى وقد زورت السلطات شريطاً -يتضمن اعترافات مزعومة (لشخص آخر قام بتمثيل دوره) لكن الأمر انكشف للناس.

ويعتبر الدكتور علي ثالث ثلاثة من قيادات أهل السنة الذين أعدموا مؤخراً وهم : ناصر سبحاني (من كردستان) ، والثاني قدرة الله جعفري الخراساني.

مقال

الانتخابات الأمريكية : المطلوب استعمار استثماري

د. عبد الله عمر سلطان

»تعيش أمريكا حالة إجهاد شامل مصحوب بكثير من القلق والتوتر ؛ وتتساءل عن المستقبل الذي يبدو ملبداً بالتحديات والمخاطر.. لقد جاء ريغان إلى

سدة الرئاسة وهو يمثل الأمل بالنسبة للناخب الأمريكي.. الأمل من حالة يأس مشابـهـة عـاشـهــا الشـعـب الأمريكي في نهاية السبعينات ، حينما بدا النظام السياسي والرئاسي عاجزاً عن تخطي حواجـز الواقع الـمـكـفـهر.. لكن الفرق بين المصير القاتم والتاريخ القريب أننا اليوم نعيش تحديات أكـبـر وواقعاً أكـثـر صعوبة وتجربة مرة كان أكبر من صنعها فريق ريغان - بوش وتيارهم اليميني المتطرف«. هــذه الـشـهـادة للـكـاتـب والمـفـكر الأمريكي »ديولي« تلقي الضوء على الواقع الذي تواجهه الجموع الأمريكية وهي تجتاز المرحـلــة الحاضرة التي ترافقها انتخابات الرئاسة لعام 1992 ، جزء من هذا الواقع الصعب كان نـتـيـجـة للفـراغ الهائل الذي لخصه »ليستر ثورو« بروفسور العلوم الاقتصادية في جامعة هارفارد في كتابه الجـديد »رأساً لــرأس« بقولــه:» عـنـدما وقف رونالد ريغان خلال حملته الانتخابية رافعاً شعار إنهاء الحظـر الســوفـييتي شبهه بدب في الغابة بعض الناس يرونه شاخصاً أمامهم، وآخرون لا يرونه لكنهم يقولون: إنــه دب لـطـيـف.. نحن نراه ونعرف أنه دب خطر متوحش.. السؤال هو: ألا يجــب أن نـكـون حــذريــن؟.. هــذه الصيحة التحذيرية أوجدت دوياً هائلاً في ذلك الوقت لكن مـن يستطيع أن يحفز الأمريكي على مواجهة مماثلة بعد موت الدب فجأة حيث غدت الغابة آمنة..!« نعم لقد وجدت أمريكا نفسها تعيش في حالة غريبة كانت تحلم بتحقيقها وفجأة حينما تم لها الانتصار على الخطر الشيوعي وجدت عالماً مختلفاً عن ذلك العالم الذي تمحورت حوله السياسة الخارجية الأمريكية في الأربعين عاماً الماضية وانعكاسات ذلك على الصعيد الداخلي.. ، وهكذا كان على أمريكا أن تواجه استحقاقات وثمن المواجهة الباهظة: استنزاف هائل للثروة من أجل إقامة ترسانة عسكرية هائلة ورهيبة لم يعرف لها الكون مثيلاً ، مما أثر على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية من جهة الإنفاق والاهتمام ، وتفضيل للشركات الضخمة المتحالفة مع الحكومات اليمينية المتعاقبة في مجال الضرائب ، مما أفرز زيادة ضخمة في ثروات رجال الأعمال الأغنياء أصلاً ، وزيادة الفقر والحرمان في المجتمع الفردي التوجه إلى حد الأنانية ، وتكريس للمصطلحات والطروحات اليمينية التي جلبها الجمهوريون كغطاء عقدي في مواجهتهم الشرسة للعصر الليبرالي الذي ساد أمريكا قبل صعودهم للسلطة ، وإدراك قوي لدى قادة الرأي والمفكرين بتقلص القدرة الأمريكية على منافسة القوى الدولية الصاعدة كأوربا واليابان اللتين تسعيان حثيثاً إلى تقليص النفوذ والسيطرة الأمريكتين ، وتوجه متسارع من قبل اليمين الأمريكي لاقتناص الفرصة والدخول في معارك ساحتها العالم الثالث للاستحواذ على الثروات والأسواق وتصدير الثقافة كما تفعل الإمبراطوريات المادية النهمة كلما شعرت أن عصرها يوشك على الأفول ، وأن القوة العسكرية التي صنعتها تراكمياً لعقود هي الميزة الوحيدة الباقية لابتزاز

وإخضاع القوى الضعيفة ، لا سيما تلك التي تحمل نحوها كرهاً حضارياً وتاريخياً.

دلالات الانتخابات الأمريكية :

لم يبلغ حجم العزوف عن المشاركة الانتخابية هذا المستوى من الكثافة منذ عام 1924م. ففي انتخابات عام 1988م أبدى أكثر من 66% من الناخبين عدم رضاهم عن المرشحين : دوكاكس وبوش ، وهي أعلى نسبة منذ إنشاء الولايات المتحدة ، كذلك أوضح أكثر من 50% من الناخبين عدم رضاهم عن الحملة الانتخابية وأنها كانت شخصية تركز على الجانب السلبي لدى الخصم ، دون الحديث عن المواضيع الهامة التي تهم الناخب..»إنها حملة شخصية بحتة.. ولا علاقة لها بالمخاطر التي تجتاحنا« ، كانت هذه العبارة لناخبة أمريكية تربط بين الحملة السابقة والحالية! وأضافت : »يبدو أن فريق الجمهوريين الذي ساعد بوش في الوصول إلى السلطة يريد أن يعيد تشغيل الشريط مرة أخرى ، فنحن الآن ندين بالفضل لهم حيث أصبحنا نعرف بالتفصيل تاريخ كلنتون المخزي.. ومع من خان زوجته؟ وكيف هرب من الجيش بواسطة نفوذ عائلته ، وكم مرة تهرب من دفع الضرائب.. ولكن هل بوش أكثر نزاهة منه ، وهو الذي حارب أمثالي من الأسر المتوسطة ورفع من تكاليف الحياة اليومية لملايين من أمثالي في الوقت الذي يسرق أبناؤه ملايين الدولارات بلا رقيب.. هل هذه هي القيم الأسرية التي تنادي بها؟؟«(1)! هذه المرارة وذلك النقد الذاتي هما المعزوفة المنتشرة بين الناخبين اليوم.. لا سيما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي الذي يراهن عليه المرشح الديمقراطي للوصول إلى السلطة ، والملاحظ أن العديد من الأمريكيين يعرفون مقدماً أن كلينتون لن يكون سوى جيمي كارتر آخر.. لكنهم مستعدون للمخاطرة والرهان عليه فربما تخطى بهم ساحل التردي الذي خيم على مشاعر وتصورات الأمريكيين الذين رأوا في رئاسة بوش تعاسة ممزوجة بالانتهازية..»لقد فقدنا الزعامة الفذة التي تنظر إلى الأمور بتوازن.. بل حتى اللمسة الشخصية التي كان يتركها ريغان لدى الفرد الأمريكي حينما يخاطبه تبخرت هي الأخرى ولم يبق سوى وجه بوش الممل وخطاباته الفاترة.. أو صوت كلينتون الباعث على النعاس والخمول. أليس من المأساة أن يختار أكثر المنعطفات الحالية خطورة في ظل غياب العمالقة؟«(2).

هذه الشهادات والمشاعر تصب في خانة اليأس والقنوط في الواقع القائم والمطالبة بالتغيير والبحث عن بديل.. هنا لا يجد الناخب الأمريكي غضاضة من إبراز »روس بيرو« كمرشح للرئاسة وهو بليونير لا يملك أي برنامج سياسي واضح ما عدا كلمة واحدة : التغيير.. لكن دون تحديد الوجهة أو الطريقة.. من هنا انسحب »بيرو« من سباق الرئاسة في مرحلة سابقة ، ثم ما لبث أن عاد إلى حلبة السباق حيث هناك فراغ هائل أكبر من قامة كلا المرشحين.. أو

بعبارة مجلة فورين أفيرز: »تراكم قوة الرغبة في محاربة الواقع القائم من قبل الناخبين مقروناً بمشاعر متدفقة من القلق والتشاؤم والتصميم على قلب الوضع القائم في واشنطن«.. ربما يقول البعض إن السبب لبروز هذه المشاعر هو الكساد القائم لكن في هذا الطرح تبسيطاً للعلاقة وطرحاً فجاً لنظرية السبب والنتيجة ، لقد عاش الشعب الأمريكي كساداً أفظع خلال عامي 1981-1982 لكن مشاعر الحنق أعلى الآن من مثيلاتها قبل عقد مضى.. ويبدو أن الرئيس حينما يراجع سبب تراجعه في الإحصاءات إلى العامل الاقتصادي وحده يغالط نفسه وجمهوره.. إن الاقتصاد أحد أعراض مرض أمريكا الحالي والمتفشي دون محاولة جادة من قبل المسؤولين لتقديم العلاج ، وإن عدم الاستجابة ذاتها يجعل الأمريكان يشعرون بالعجز والخجل من أمريكا التي تقدم نصائحها للعالم ، بينما تتناسى العار الذي اكتنفها«.. وهكذا فإن شعارات كانت مستهجنة أصبحت مقبولة فباتريك بوكانون مثلاً تقدم للترشيح عن الحزب الجمهوري رافعاً شعار: »أمريكا أولاً وثانياً وثالثاً« بصورة انعزالية تدعو إلى انكفاء أمريكا على مشاكلها وترك العالم الخارجي وشأنه ، ومع أن هذا الشعار كان مطروحاً قبل بروز أمريكا في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلا أن رواج هذه المقولة في هذه الحملة وحصول بوكانون على ما يقارب من 20-25% من أصوات الناخبين يبرز الرغبة الملحة للتغيير لدى الناخب الأمريكي ، والمطالبة بتغيير سلم الأولويات وربما السياسات التي كانت متبعة خلال نصف قرن.. وهكذا فإن المرحلة المقبلة ستكون بداية تشكل طروحات جديدة تعالج الدور الأمريكي على الساحة الدولية والموقف من التحديات الداخلية وموقع المنافسة في ظل نظام متغير ومنافسين جدد.. ومن الطريف أن السياسة الأمريكية وطروحات بوش واليمين الأمريكي المطالبة بتصفية مخلفات الحرب الباردة ووجوهها في العالم الثالث ، لتحقيق هيمنة أكبر ونصر ساحق في عصر الاجتياح الأمريكي قد يطبق على رموز الحرب الباردة وزعمائها في أمريكا وبواسطة الناخب الأمريكي.. وإذا حصل هذا فإن أفكار اليمين المتطرف وزعامة الرئيس الأمريكي ستكون أول الضحايا ومقدمة الرموز التي ستسقط في هذا السياق.

الخروج من الشرنقة:

من المناحي البارزة في الحملة الانتخابية الحالية أنها تعالج - كما فعلت الحملات السابقة - مآزق الماضي وطروحات الستينات الميلادية. إن بداية سقوط الإمبراطوريات العظمى يرافقه ميل إلى الانكفاء نحو الماضي الرامي إلى تصفية حسابات القوى السياسية ، حتى يصبح الحاضر والمستقبل القريب والبعيد رهائن دائمة للطروحات السالفة ، دون استشعار لتغير الزمن وتبدل التحديات.. ويبدي بعض المفكرين الأمريكيين قلقهم من هذه الظاهرة وصعوبة المرحلة التي تواجه العصر بعقلية التصفية والتصفية المضادة بين النخب

المؤثرة ، في الوقت الذي تسبق الجموع والجماهير النخب في استشعار الخطر وتلمس المصاعب.. »الفرد أصبح مهدداً في أعز ما يملك.. حلمه الأمريكي في حياة مرهفة..! إنه يفقد وظيفته ليطير إلى بلدان أخرى كالمكسيك ، وهو يرى تراجع مستوى المعيشة والرخاء في الولايات المتحدة ، وهو يشاهد عدم استطاعته دفع مصاريف العلاج وصرف غائلة المرض.. ثم يتراءى المأزق شاخصاً في أحداث لوس أنجلوس التي كشفت عن وجوه أمريكا البشعة.. ثم يترتب أن تفعل المؤسسات الحاكمة شيئاً لتغيير هذه الصورة القاتمة فلا يرى سوى اهتمام من النخبة الحاكمة - حكومة وشركات - بمصالحها الخاصة والشخصية..! إن هذه اللامبالاة على مستوى القيادات هي التي تحرك الغضب الشعبي وترفع من حرارة مشاعر الناخبين ، وربما أدى هذا إلى كارثة هائلة تتمثل في مأزق شرعية الوضع الراهن!!(3) هذا المقطع يطرح مأزق الدائرة المفرغة التي تدور حولها معركة الانتخابات »التي تدور حول شعارات رنانة دون وجود مادة خلفها«(4) كما يقول النائب بيتر دوفنشي. لقد استنفد الليبراليون والمحافظون طروحاتهم حول المشكلات ذاتها ، وأصبحت السنوات الثلاثون الماضية فصلاً في الردود والردود المضادة ، فالجمهوريون في هذه الانتخابات طرحوا شعار القيم العائلية ، مقابل طرح الحرية الشخصية لليبراليين ، ويتفرع عنها قضية الاجهاض التي نجحت القوى الليبرالية قبل 30 عاماً في إجازته قانونياً ، وأصبح تحريمه برنامج عمل مكثف لليمين خلال الثمانينات.. وكما كانت قضية الأقليات وحقوقها مادة النزاع الأهلي في الستينات حينما نال السود بعض الحقوق النظرية كانت فترة حكم الجمهوريين مرحلة تجميد لهذه الحقوق عملياً وتركيز على هيمنة الرجل البروتستانتي الأبيض كما تكشف أحداث الشغب في المدن الأمريكية عن حالة من الغضب من الغبن العنصري الذي أتى به ريغان ومن بعده بوش.

أما السياسة الخارجية لأمريكا - بعد انقشاع الحرب الباردة - فقد ظلت أسيرة حرب فيتنام التي جرت في العقد السادس ، ويرى العديد من المراقبين أن جزءاً هاماً من دوافع التدخل الأمريكي في الخليج ينطلق من شعار الرئيس الأمريكي : »لا فيتنام أخرى بعد الآن No more Vietnam « والذي يؤكد طرح اليمين الأمريكي بأن التدخل والتوسع على الساحة الدولية ضروري للقيام بالدور الاستعماري الكفيل بتنشيط الاقتصاد والثقافة الأمريكيتين ، ولو تم ذلك بصورة مباشرة ومكشوفة ، وهذا ما يعارضه قطاع من الليبراليين. إن حرب الخليج شاهد على التخلص من عقدة فيتنام إلى الأبد ، ومؤشر على ضرورة التدخل في المناطق التي تشكل جزءاً هاماً من مناطق النفوذ والأمن الأمريكي في العالم ، أما قضية إصلاح الاقتصاد الأمريكي المتعثر فإنها تظل حبيسة الطروحات القديمة والمتمثلة في رفع أو خفض الضرائب والإنفاق الحكومي ، مما يؤكد شعور الناخب والمراقب الأمريكي أن ما يعرض عليه من

قضايا لا يعدو أن يكون تكراراً مملاً لتحديات الستينات.. مرحلة الفورة والبريق المفقود ، وإن السياسيين في كلا الحزبين يصرون على عدم الخروج من شرنقة الماضي وطروحاته ، عاجزين عن التصدي لتحديات اللحظة.

ما هو البديل؟

إذا كان المرشحون الحاليون لا يملؤون الفراغ الذي يحس به الناخب الأمريكي ، فما الذي سيملأ هذا الفراغ وذلك الفضاء المتسع؟

ابتداءً يجب التأكيد على نقطة هامة وجوهرية وهي أن هذا الخليط العجيب من الأعراق والديانات يجمعه هاجس »الفكرة الأمريكية« التي تقوم على عبادة الدولار والحرية الشخصية.. في مجال الحرية الشخصية يتمتع الفرد الأمريكي بهامش كبير منها ما دامت لا تتطور إلى »فكرة متحركة« تهدد الوضع القائم على الهيمنة البيضاء بشقيها المتحرر والمحافظ وثقافتها المسيحية/اليهودية ، كما يجمع المرشحان الحاليان بوش وكلنتون.. إن مرحلة تسييس الفرد الأمريكي التي مرت بسرعة خلال العقدين السادس والسابع حالة طارئة ، استنفرت المؤسسة الحاكمة جناحيها المحافظ والمتحرر لكبحها ، بالرغم من أنها تستمد جذورها الأصيلة من القيم الأمريكية ، ولذا فإننا نرى أن الفرد الأمريكي هو الأقل تسييساً ومشاركة في القرار مقارنة بالدول الصناعية الأخرى ، وهذا ما يفسر جزئياً انحصار العملية السياسية فعلياً في حزبين فقط يتقاربان كثيراً في مسألة إبعاد الجماهير عن السياسة وإطلاق الحريات الضرورية ما دامت في خانة الآحاد المبعثرة..

أما الدولار - المعبود الأمريكي الأول - فإنه يعبر عنه بتعبيرات أكثر لباقة فهو أحياناً يسمى »الاقتصاد« وأخرى »المصالح« وثالثة »بالعمل« ورابعة »بالأمن القومي« وخامسة »بالمناطق الاستراتيجية« ولكن كل هذه التعبيرات والمصطلحات تجمع على عبادة المال وتقديسه ، وهو ما يلخصه بعض المفكرين الأمريكيين »بالحلم الأمريكي« حيث الحرية الفردية الممتزجة بالراتب الوفير ، والسيارة الفارهة ، والبيت المملوك ، والمتاع المتوفر.. هذه هي أمريكا حتى بالنسبة للحالمين بالهجرة إليها: فرصة جديدة. لتحسين الدخل... ولذا فإن العديد من الناخبين الأمريكيين يرون في الدولار الهارب أزمة الأزمات وأخطر المخاطر التي يواجهونها ؛ لقد تعود جيل الطفرة الذي ولد بعد الحرب العالمية الثانية أن يجد عملاً مستمراً ، وأن راتبه يزيد سنوياً وأن يتمتع بالمال المدخر الذي ينمو باستمرار.. وفجأة وجد أن هذه المسلّمات قابلة للنقص.. وهكذا »يتعلق الأمريكان بالاقتصاد والمال بلهفة حتى المسائل الاجتماعية تجد جذورها المادية/الاقتصادية ، فمشاكل العلاج الصحي والتعليم ، والجريمة والمخدرات ينظر إليها من منظور فردي مادي ، حيث يشعر الناس أنهم مهددون بالطرد من العمل ، وعندها لن يجدوا العلاج المجاني ، وهذا ينسحب على التعليم حيث أن 88% من الأمريكان يؤمنون أن التعليم

الجماعي ضرورة لحياة كريمة ، ولكنهم يرون أن أقساط الجامعات تتعدى معدل الدخل والتضخم ، ويقلقون بالتالي على مصير أطفالهم وكم سيدفعون لضمان تعليمهم.. وغالـبـيــة الجموع ترى أن المخدرات والجريمة من نتاج الفقر وتراجع الاقتصاد.. حتى السياسة الخــارجـيــة التي يؤمن أكثر من 71% من الأمريكان بضرورة الاستمرار في تسيير دفتها العالية تصبغ برداء المادة والمصالح الاقتصادية بعيداً عن نظريات الحرب الباردة ومحاربة الشيوعية وموازنة الـقــوى.. يـجــب إعطــاء الجانب الاقتصادي أهمية بالغة في قدر وحجم التدخل الخارجي مستقبلاً بما يضمن اســتـمــرار الرفاهية والترف المعيشي.. أما المناطق الأقل اجتذاباً وفقراً فيرى الأمريكي أن رداً جماعياً تـقــوم بــه الأمم المتحدة ربـمــا يـرفــع الحرج عن الرد الأمريكي المطلوب تجاه هذه المعضلات«(5).

إذن فالبوسنة تذبح لسنوات.. لا تعني الفرد الأمريكي لأن البترول غير متوفر هناك.. وبما أن الضحــايا في عصر الارتداد إلى الماضي - زمن الشحوب الحضاري - لا يمثلون امتداداً حضارياً (يهودياً مسيحياً) لهذه الأمة.. والمحصلة النهائية مخزون هائل قائم على الماضي بأعدائه ورمـــوزه وشخوصه يقف المسلمون في مقدمة القائمة المستهدفة ، ورغبة دفينة في الحصول على المــوارد والــمــواد الأولية والاستثمار في اقتصاد قائم على توظيف الأموال الأجنبية وجنوح نحو غسل عار فيتنام. كل هذا لا يتم على مستوى النخب الحاكمة التي لها سجل طويل مخز في صنع المخــاطــر والتلاعب بتوجهات الجماهير إنما.. يأتي هذا الشعور المتنامي من القاعدة اللاهثة للمال والـدولار والمغــامرات الخارجية التي وصفها شوارزكوف في مذكراته بقوله :»هناك في واشنطن يقف صانعــوا القرار الذين أدمنوا مشاهدة أفلام البطولات الأمريكية السينمائية يمتلئ صدر الواحد منهــم ببطولات رامبو الأمريكي الذي يسحق الآخرين الأشرار في الوقت الذي لم يطلق أحدهم رصـاصــة في حياته إلا أنه يشعر أن بإمكانه اتخاذ قرار الحرب الشاملة بكل برود..« نعم بكل برود ما دامت الأوصاف التي يطالب بها الناخب الأمريكي اليوم هي الاستعمار البشع المكشوف ، وما دام الضحايا الذين تنطبق عليهم شروط الذبح الأمريكية منطقة واحدة محددة : العالم الإسلامي.

بالأمس كانت النخب المسيطرة والحاكمة في الولايات المتحدة تبرز مخزونها العنصري ، لا سيما حينما بدت الحرب الباردة تضع أوزارها.. حينها بدأت الهتافات الحارة والدعاوي المزيفة تستنفر الغزو الأمريكي بشعارات مثل : المسلمون قادمون الخطر الأخضر، الـمــارد الأصــــولي يتململ ، محاربة التطرف الإسلامي ، وأد الإرهاب المحمدي.. وغيرها من الشعارات التي تفنن اليمين الديني الأمريكي في الدعاية لها والدعوة إليها.. أما اليوم فإن الفرد الأمريـكـي البـسـيــط يرى في معركته المحتمة مع مناطق الاكتناز الاقتصادي

مصيراً لتحسن مستوى دخله دون أن تدفـعــه قوة عقائدية أو راية صليبية..
وإن كانت ضرورية حين تشن الحرب المقدسة لعوامل عدة أبـرزهـــا إضفاء الشرعية على التحركات الشريرة المقبلة...
الجـديــد في الطرح الأمريكي هو قوة الدفع الشعبي المنطلق من عقيدة عبادة الترف والذات لتلتقي في نقطة ما مع ما يدعو إليه غلاة اليمين الديني الجديد..

الهوامش :

1- 12/9/1992 ABC .
2- CBS شالنجر 7/8/1992.
3- بتصرف.. دانيال يانكلوفتش ، فورين أفيرز خريف 1992م .
4- ديوني : لماذا يكره الأمريكان السياسة ص 10.
5- فورين أفيرز خريف 1992.

طب

أطباء الغرب ..
يحذرون من شرب الخمر

د. حسان شمسي باشا

الإدمان على المسكرات مشكلة يعاني مـنـها الغرب ، ويعاني منها البعض في بلادنا العربية والإسلامية. وإن ما يدعو إلى الأسف الشـديــد أن نشاهـد ازدياداً في شرب الخمر في بلادنا الإسلامية ، في الوقت الذي يدعو فيه الغرب إلى الابتعاد عن المسكرات.

تـقـول دائـرة مـعـارف جامعة كاليفورنيا للصحة (طبعة 1991): »يعتبر الخمر حالياً القاتل الثاني - بعد التدخين - في الولايات المتحدة. فشرب المسكرات في أمريكا سبب موت أكثر من 100.000 شخص سـنـويــاً هـنــاك. والخمر وحده مسؤول عن أكثر من نصف الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق في أمريكا (والبالغة 50.000شخص سنوياً).

وليس هذا فحسب ، بل إن الخمر مـســؤول عــن إصـابــة أكـثــر من نصف مليون شخص بحوادث السيارات في أمريكا في العام الواحد. وأما في البيت ، فـالـمـسـكـرات مسؤولة عن كثير من حرائق البيت، وسقوط شاربي الخمر على الأرض، أو غرقهم أثناء السباحة«.

وتتابع دائرة معارف جامعة كاليفورنيا القول : »والمسكرات لا تسبب المشاكل في البيت.. أو على الطرقات فحسب ، بل إن خسائر أمريكا من نقص الإنتاج وفقدان العمل نتيجة شرب الخمر تزيد عن 71 بليون دولار سنوياً. ناهيك عن الخسائر التي لا تقدر بثمن من مـشـاكل نفسية وعائلية

واجتـمـاعـيـة. ويحـثُّ الكتَّاب في الجرائد والمجلات الأمريكية الناس على عدم تقديم المسكرات قبل العشاء - أثـنـاء حـفلاتهم - وعلى أن يصادروا مفاتيح السيارات من المفرطين في شرت الخمر، حتى لا يقودوا أنفسهم إلى الموت!!«.
تذكر موسوعة جامعة كاليفورنيا في مكان آخر: »أن ثلث اليافعين في أمريكا يشرب المسكرات بـدرجــة تعـيـق نشـاطـه الدراسي في المدرسة ، أو توقعه في مشاكل مع القانون..! وقد بدأ معظم هؤلاء الشباب شرب المسكرات قبل سن الثالثة عشرة من العمر«.
ويقول البروفسور »شوكيت« وهو بروفسور الأمراض النفسية في جامعة كاليفورنيا ومدير مركز الأبحاث المتعلقة بالإدمان على الكحول : »إن 90 % من الناس في الولايات المتحدة يشربون الخمر ، وأن 40 - 50% من الرجال هناك يصابون بمشاكل عابرة ناجمة عن المسكرات. وأن 10 % من الرجال و 3-5 % من النساء مصابون بالإدمان على الكحول«(1).
ويقدّر خبراء جامعة كاليفورنيا أن 15 مليون أمريكي يشرب أكثر من كأسين من البيرة - أو مـا يعادلها من أنواع الخمر الأخرى - يومياً. واستناداً إلى المعهد الوطني الأمريكي للإدمان على الخمر ، فإن من يشرب مثل تلك الكمية يعتبر »مـفـرطــاً في شرب المسكرات« »Heavy Drinker«، وأن 18 % من هؤلاء يشرب أكثر من 4 كؤوس من البيرة - أو مـا يعادلها - يومياً ، وهذه الفئة مهددة بالإدمان الخطير على الكحول.
هذا ما يجري في أمريكا ، فماذا يحدث على الجانب الآخر من الأطلنطي - وبالخصوص بريطانيا؟ تقول مجلة »لانست« البريطانية الشهيرة : »إن مئتي ألف شخص يموتون سنوياً في بريطانيا بسبب المسكرات«. وذكرت المجلة البريطانية للإدمان »British Journal of Addiction« أن الخسـائـر الناجمة عن مشاكل الكحول الطبية بلغت 640 مليون جنيه استرليني في العام الواحد. إن الـخـسـارة الإجمالـيـة الناجمة عن شرب المسكرات تقدر بـ 2000 مليون جنيه استرليني في العام الواحد. وذكــرت هــذه الـمـجـلة أيضاً أن 12 % من الـمـرضى الذين يدخلون المستشفيات في بريطانيا ، يدخلون بسبب مشاكــل نـاجـمـة عــن المسكرات.
وعودة إلى أمريكا.. فحسب ما جاء في كتاب »Cecil« الطبي الشهير - طبعة 1992 - فإن الخسـائـر الكلية الناجمة عن مشاكل المسكرات في أمريكا بلغت ما قيمته 136 بليون دولار في العام الواحد. ويقدِّر الخبراء أن ربع الحالات التي تدخل المستشفيات الأمريكية سببها أمراض ناجمة عن شرب المسكرات«.
فحذار.. حذار أيها المسلمون ، قبل أن يستشري فينا الداء الذي يريده لنا الغرب. فالأفلام والمجلات الخليعة تدعو الناس صباح مساء في بلادنا العربية

إلى شرب المسكرات عن طريق إبراز الفنانين والممثلين، وفي أيديهم كأس من المسكرات ، أو عن طريق الدعايات والمقالات.
ويظن بعض الناس أن شـرب قليل من المسكرات أمر لا بأس فيه. ولكن هذا غير صحيح. وقد نبَّهت على خطورته مجلة »لانست« الطبية ، فتقول في عدد صادر لها عام 1987: »لقد تبين أخيراً أن معظم الوفيات والاختلاطات الناجمة عن الكحول تحدث عند الذين يظنون أنهم لا يشربون الكثير من الخمر، وعند أولئك الذين كان يظن أطباؤهم أن ما يتناولونه من المسكرات ما هو بالكثير، بل هو في حكم المقبول في عرف المجتمعات الأمريكية والأوربية«.
ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان ليغفل عن ذلك ، فقال حديثه المشهور:
"»ما أسكر كثيره فقليله حرام"«(2).

المسكرات.. والقلب :

زعم البعض من الأطباء أن القليل من الخمر قد ينقص نسبة الوفيات من جلطة القلب. ولكن مقالة رئيسية في مجلة »لانست« البريطانية (صدرت عام 1987) فنِّدت هذه المزاعم ، يقول كاتب المقال : »إن ما يدعيه بعض الأطباء من أن الكحول قد يكون مفيداً إذا ما أخذ بجرعات صغيرة إنما هو محض كذب وافتراء«. وتقول المقالة أيضا: »إن الدراسة التي يستند إلـيها هؤلاء دراسة غير موثوقة ولا يعتد بها«. ويتابع كاتب المقال القول : »وخلاصة القول أن على الأطباء أن يبلغوا الناس رسالة واحدة فقط وهي : أن الكحول ضار بالصحة«.
ويقول البروفسور »شوكيت«: »إن شرب ثلاث أو أربع كؤوس من البيرة يومياً يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، ولهذا يعتبر الخمر حالياً سبباً هاماً من أسباب ارتفاع ضغط الدم. ويؤدي شرب الخمر إلى »اعتلال العضلة القلبية«، ومــا ينجم عـنـهــا من توسع في حجرات القلب وقصور (فشل) القلب. فيصاب المريض بضيق نفس لدى القيام بأي مجهود. وقد تتشكل جلطات في الجهة اليسرى من القلب. وهناك بلا شك علاقة وثـيـقـة بـيــن حدوث السكتة الدماغية Stroke، وبين شرب المسكرات. ويسبب الكحول اضطراباً فـي ضـربـات القلب ، مما يسبب تسرعاً شديداً في القلب. وقد يحدث ذلك عقب شرب الخمر مرة واحدة فقط«.

المسكرات والسرطان :

يعتبر السرطان حالياً القاتل الثاني عند شاربي الخمر (بعد جلطة القلب) ، فنسبة حدوث السرطان عند شاربي الخمر تفوق بعشرة أضعاف ما هي عليه عند الآخرين. والأعضاء التي يزداد فيها حدوث السرطان - حسب أحدث الإحصائيات - هي : سرطان الرأس والرقبة ، والمريء ، والمعدة ، والكبد ، والبنكرياس ، والثدي.

المسكرات والغذاء:

يعطي الغرام الواحد من الكحول سبع سعرات حرارية ، وهكذا فإن شـرب 8-10 كؤوس من أحد المشروبات الكحولية يمكن. أن يعطي 1000 سعراً حرارياً فـي الـيـوم. ولكن يجب الانتباه أن هذه الحراريات خالية (Empty) من أي عناصر غذائية كالبروتين أو المعادن أو الفيتامينات.

وجاء في كتاب »هاريسون«:

»فـكـل الفـيـتـامـينات يعاق امتصاصها في الأمعاء عند شاربي الخمر ، وتسجل ذلك نقصاً في الفيتامين ب1 ، ب2 ، حمض الفوليك ، والفيتامين (أ).

ويحدث عند شاربي الخمر نقص في البوتاسيوم.. يمـكــن أن يـؤدي إلـى شلل دوري في العضلات وانعدام المنعكسات. ونقص المغنزيوم.. يمكن أن يسبب اضطراباً في الإدراك وأعراضاً عصبية أخرى. ونقص الكالسيوم.. يؤدي إلى تكزز وضعف عام. ونقص الزنك.. قد يسبب اضطراباً في الأعضاء الجنسية ونقصاً في الشهية ، وضعفاً في مناعة الجسم. ونقص الفوسفات.. يمكن أن يجعل فشل القلب يتفاقم ، ويسبب اضطرابات في الدماغ.. وضعفاً في العضلات.

المسكرات.. والجنس :

يقول البروفسور »شوكيت«: قد يلاحظ بـعـض شـاربي المسكرات ازدياداً في الشعور الجنسي لدى تناول كأس أو كأسين من المسكرات. ولكن ينسى هؤلاء أن ذلك يمكن أن يسبب العُنَّة عند الرجال (ضعف القدرة الجنسية).

وينسى هؤلاء أيضاً أن شرب المسكرات قد يؤدي إلى ضمور الخصيتين ، وفقدان النُّطَف.

كـمـا أن شــرب المسكرات عند النساء يمكن أن يؤدي إلى انقطاع الطمث ، ونقص في حجم المبايض، وما يتبع ذلك من عقم، أو إجهاض تلقائي.

وشــرب الـمـسـكـرات أثناء الحمل يؤدي إلى مرض يسمى (تناذر الجنين الكحولي) »Fetal Alcohol Syndrome«. ويصاب الجنين فيه بآفات خلقية في القلب ، وتشوهات في الوجه، واضطراب في المفاصل ، وتخلف عقلي شديد. ولا تعرف كمية المسكرات ولا الوقت الذي تكون الحامل فيه عرضة لإصابة الجنين بهذا المرض. ولهذا يصر الباحثون على أن تمتنع الحامل عن المسكرات امتناعاً تاماً«.

المسكرات.. والدماغ :

إن سهرة يقضيها شارب الخمر في شرب الـمـسـكـرات يتبعها فقدان وعي » Blackout« في كثير من الحالات. ويذكر البروفسور »شوكيت« أن هذه الظاهرة قد أصيب بها 30-40% من الرجال في سن الـعـشـريـنـات فـي أمـريـكـا خلال فترة من الفترات. ويسبب الإدمان على المسكرات اعتلالاً في الأعصاب المحبطية عـنــد 5-15% من شـاربـي الخمر. ويشكو فيها المرضى

من الخدر والتنميل في الأطراف. أو قد يصاب المدمنون على الـمـسـكــرات بتناذر كورساكوف وفيه يصبح الإنسان غير قادر على أن يتعلم الأشياء الجديدة ، ويفقد الذاكرة ، ويختلق فيها المريض قصصاً وأحداثاً وهمية لم تقع من قبل. وتحدث علامـــات ضمور الدماغ عند 50% من المدمنين على الكحول. ويقدر الباحثون أن 20% من المصابين بالخرف كانوا من المدمنين على الخمر.

المسكرات.. وجهاز الهضم :

كثيراً ما يصاب شاربو الخمور بالتهاب في المريء أو التهاب في المعدة.
ويعتبر التهاب المعدة أكثر الأسباب شيوعاً لنزيف المعدة عند شاربي المسكرات ، وقد يحدث النزف الهـضـمـي نتيجة دوالي المريء (بسبب تشمع الكبد).
والمسكرات سبب شائع لالتهاب البنكرياس. كما أن الكبد يصاب بالالتهاب.. أو بالتشحم.. أو بالتشمع (Cirrhosis) ، وهو مرض خطير غير قابل للتراجع.
أنعجب بعد هذا كله من تحريم الإسلام للمسكرات؟! حتى للقليل منها !؟ ألم يقل رسول الإنسانـيـة عليه صلوات الله وسلامه : »كل مسكر حرام ، وما أسكر منه الفَرْقُ فملءُ الكف منه حرام«(3).
ثم ألم يحذِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الجلوس على موائد الخمر لأن ذلك قد يعرض صاحبها لمسايرة الجالسين ، فربما ذاقها للمرة الأولى ثم تبعها جلسات وسكرات. »نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر«(4).
((إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ))

الهوامش :

1- عن كتاب هاريسون الطبي طبعة 1991.
2- رواه أحمد وأبو داود والترمذي (صحيح الجامع الصغير 5530).
3- رواه داود والترمذي (صحيح الجامع الصغير 4552) .
4- رواه أبو وداود والترمذي (صحيح الجامع الصغير 6874) .

بين المطرقة والسندان

أحمد أبو لبن

إن رحلة الحياة حلقات متصلة من الحوادث والمواقف ، والأفراح والأتراح ، والإنـجـازات والإخفاقات ، تمر كشريط متتابع المشاهد ، يعتصر العاقل الفطن منها الحكمة والعبرة.
زارني - في هذه المرحلة من الحياة - أخ حبيب في بلاد الغربة ، قادم من بلاد المسلمين ، جمعتنا جلسة على مـقـاعــد للـنـزهـة على ضفاف إحدى بحيرات (كوبنهاغن) ، وتبادلنا أطراف الحديث دون سابق إعداد أو تخطـيـط ، . بادرني

قائلاً : الآن بعد أن قضيت عقداً من السنين في مهد الحضارة الغربية ، وراقبت الأحداث تتلاحق على أمتنا وهي لا زالت في عنائها وبلائها ؛ ما هي خبرتك الجديدة ، وكيف ترى هذه المرحلة التي نعيشها؟ فأنت هنا في مأمن بعيد عن دوامة الصراع ، قريب من مصادر الإعلام ، فنحن نغبطكم على هذه الفرصة.
أجبته مداعباً - كعادتي معه - أتأذن لي بالإجابة مع التفصيل الممل؟! فأجاب مداعباً: خذ راحتك ، فعلام العجلة؟ لقد تخطينا سن الشباب!
فقلت : نبدأ بذكر الله والصلاة والسلام على رسوله الكريم - فنحن هنا في بلاد الغفلة والإلحاد ، والجو شيطاني يعج بالشهوات والمعاصي - وللإجابة على سؤالك نقسم تاريخ أمتنا إلى مراحل ، لكل منها عنوان أو شعار حتى نصل إلى الجواب. ولنبدأ بالمرحلة الأولى للدعوة الإسلامية في مكة وفي موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- من إغراءات قريش حتى يتخلى عن ما جاء به ، وكيف أنه لم يثنه ترغيب ولا ترهيب عن دعوة التوحيد والثبات عليها. وبعد بناء الحضارة الإيمانية على أسس راسخة يحسن بنا أن نقتطف ، شعاراً من خطبة حجة الوداع عنواناً لاكتمال تأسيس الدولة في المدينة المنورة : »إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام«.
تجاوب مستمراً في حواره : شعار جميل ، دقيق جداً ، لكن يا حسرتاه! أين نحن منه اليوم؟ أموال المسلمين وأرضهم نهب مستباح ، أو تسخر لسفك دمائهم واستباحة أعراضهم ، لقد بلغت المأساة الذروة ، وتجاوزت حدود الخيال.
ثم أكملت : أما مرحلة الصديق فإن شعارها هو شعار الإصرار على الحق وقت الشدة الذي يلخصه موقفه يوم الردة: »والله لا أزال أقاتلهم حتى تنفرد سالفتي«.
قال صاحبي : تعني إصراره على تسيير الجيوش لحرب المرتدين ، وأن الخلافة الراشدة هي اتباع لمنهاج النبوة دون تنازلات ، قلت : نعم هو كذلك.
ثم مرحلة خلافة عمر - رضي الله عنه - الذي جعل نقش خاتمه : »كفى بالموت واعظاً يا عمر« حيث الأمن مستتب ، والعدالة قائمة ، والأمة عزيزة الجانب ، وهذا الشعار يناسب حالة الحاكم الحذر من أن يفتتن بنفسه.
إننا حينما نتذكر هذه المواقف المجيدة وأمثالها من تاريخنا المجيد نبرأ ونعتذر ، كما فعل الصحابي الجليل أنس بن النضر في غزوة أحد، حينما رأى المسلمين يتراجعون، والمشركين مستبسلين من أجل باطلهم ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (أي المسلمين) وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (أي المشركين).

إن هــذا هو التعبير الصادق عن تراجع وارتباك مشروعنا الإسلامي في كل مجال ومكان ، الذي نعتذر إلى المولى منه ، وتكالب وشراسة قوى الباطل بمكرها ونذالتها ، الذي نتبرأ إلى الله منه.
فقال : تعني أن الظروف المحيطة بنا تتلخص في : تفوق الكافرين ، وعجز المسلمين.
قلـت : نـعـم ، فنحن في بلاد المسلمين نعاني مشكلة واحدة ونحمل هماً واحداً هو تخلف الأمة أفراداً ومؤسسات بسبب انحرافها عن منهج الإسلام ، وهذه هي »المطرقة« التي يجب على المسلمين فـي بلادهم الصبر على آلامها ، ونحن هنا في بلاد الغرب والغربة - أعني المسلمين المهاجرين - نعاني من آثار هذه الحضارة المادية المتعدية لحدود الله ، الجاحدة لوجوده.
فغرورهــا وتعاليهـا هو »السندان« الذي يضاعف الأمم المطرقة على رؤوسنا في بلاد الغربة. وما ندري : هل نشتكي ونعتذر عن المشروع الإسلامي الذي يتعرض للإجهاض مرة بعد مرة ، أم عن الجالـيـات الإسلامية التي وفدت بكل مشكلاتها وتشرذمها؟ أم نتبرأ من حضارة مادية كافرة تمول الـبـحـوث ، وتنجز المخترعات ، وتخطط وتحافظ على مصالح شعوبها وتحترم حرية الرأي لمواطنيها؟!.
قال : على الرغم من المعاناة والمكابدة فإن التشاؤم مذموم العواقب ، والمسلم لا ينبغي له أن ييأس، فمهما ذاق المسلمون الآلام بين المطرقة والسندان ؛ فإن ذلك يجب أن لا يثنيهم عن العمل والثبات على ما هم فيه من الحق.
إنني أرى تباشير الفجر وعلامات النصر تلوح في الأفق فهيا بنا لأشتري خاتماً من فضة،لا لننقش عليه عبارة: »أبرأ وأعتذر« ولكن لننقش عليه شعار المستقبل: "جـــاء الـحــق وزهق الباطل".

مكتبة البيان

إعداد: سليمان الميداني

- **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، للإمام ابن الوزير**

قام بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً الأسـتـاذ الفاضل **الشيخ شعيب الأرناؤوط** بتسعة مجلدات
طبع ونشر مؤسسة الرسالة بيروت ، وهو كتب نافع ومفيد في بابه.

- **معالم التنزيل (تفسير البغوي) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي**

قام بتحقيقه : **عثمان جمعة ضميرية - محـمـد عبد الله النمر - سليمان مسلّم الحرش.**
وقد سلك فيه مـصـنـفـه مـنـهـج الـتفـسير بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.
والكتاب من ثمانية مجلدات من الحجم الكبير.

- **التدليس في الحديث : حقيقته - أقسامه - أحكامه - مراتبه والموصوفون به.**

تأليف الدكتور **مسفر بن غرم الله الدميني** الأسـتـاذ فـي جـامـعـة الإمــام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

- **كتاب النظائر**

للشيخ بكر أبو زيد
وهو دراسة مفيدة قيمة لموضوعات عديدة حري بطالب اسم الوقوف عليها وهي:
1- التحول المذهبي.
2- العلماء العزاب.
3- التراجم الذاتية.
4- لطائف الكلم.
وهو من طبع دار العاصمة بالرياض.

- **الموطأ للإمام مالك**

برواية أبي مصعب الزهري المدني تحقيق **بشار عواد معروف ومحمود محمد خليل.**
الكتاب من جزئين طبع مؤسسة الرسالة بيروت.

منتدى القراء

أختاه .. فلتحذري

بقلم : أم سلمان

إلى كل حرة أبية ، تأبى الضيم وترفض أن تكون تابعة للعبيد وأداة لتحطيم الأمة.. أتوجه بهذا النداء...
أختاه.. أناديك هل تسمعينني؟ أصرخ إليك ، هل يصل إليك صوتي؟
إن القوم يأتمرون بك ، بل إن العالم يتآمـر عليك ، اليهودية المفسدة ، العلمانية الكافرة ، الكل قد حشد الحشود لفتنتك ، الكل قد جـمـع العقـول لإغوائك ، الكل يطاردك ، يريد الذل لنفسك، إنه حزب الشيطان يريد لينزع عنك لباسك لتتبدى سوأتك وعوراتك،ويدعك خلقاً مشوهاً ممسوخاً فتضلي في نفسك وتكوني لمن خلفك فتنة، وينهدم صرح الأمة،وتشيع الفـحـشـاء

ويتـمـيـع فـي إثرك الرجال ، وتغوص الأمة في بحر الشهوات.. فهم ((**ودُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**)) .
ها هم يهود يقفون وراء بيوتات الأزياء والموضات يزينون من خلالها الفجور والعري فتفسد الأمم ، وتصب في جيوبهم الأموال.. ها هم يزينون الفحشاء.. في الأزياء العارية ، والأفلام الساقطة والمسرحيات الهزلية الفاجرة، في المجلات الدنسة والصحف العميلة، في المقالات العارية من كل حياء ، في القصة اللئيمة ، في المسلسلات والبرامج الهابطة..
فـهـل تنتصرين لنفسك وتثأرين لدينك ، هل تفيقين وترتفعين فن تلك الهوة السحيقة التي زيـنـهـا لـك الـماكرون؟ فقط أذكرك بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: »صنفان من أهل النار لم أرهما:.. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة،لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها... الحديث«. فهل ترضين لنفسك هذه الحال؟! أم تنـتـصـريـن لـدينك ولإنسانيتك التي كرمها الله ، فتعود الصورة الوضيئة للمرأة المسلمة العفيفة الطاهرة النقـيــة المتوضئة الراكعة الساجدة.. صورة الأم في نضارتها ومكانتها ، صورة الحرة لا الأمة المستعبدة لكل الأهواء..
أتمنى أختاه.. أن تعودي ، فنحن هنا في انتظارك في شوق على باب الإسلام الكريم.

كلا لا نعود

إبراهيم كامل

بين طيات الزمن نعيش، نـعـيـش حـيــاةٍ بسرورها وحزنها وفرحها وغضبها ، بمشكلاتها واضطراباتها.. نعيشها إحساساً ومـشـاعــر ، وعواطف - وهواجس ، انحرافاً واستقامة ، نسياناً وتذكراً ، قوة وضعفاً..
هذا ويوم القيامة تتضاءل من حسنا هذه الليالي والأيام تمر وكأنها لحظة من نار فلا بقي من كـرب مكـروب ، أو فرح مبتهج ، أو فقر فقير ، أو غنى غني ، فمن تلذذ بلذة فقد التذها وانقضى ، ومن نصب ومن صبر فقد انتهى تعبه ونصبه وصبره ، فأشد الناس عناء بانتهاء عنائه لم يبق لـــه من العناء شيئاً ، وأشدهم رغداً وابتهاجاً بزوال رغده عنه لم يبق له من الرغد شيئاً.
هـذا وإنـهــا الآن لكلمات ولسوف نذكر هناك عملنا اليوم ، سوف نذكر اهتماماتنا اليوم ، سوف نذكــر مــا يقـعـدنـا من شهوات ورغائب ، سوف نذكر ما يلهينا من صغائر ، ولكم سنندم ، ولكم سنأسى، ولكن ترى هل سينفع الندم؟ هل سينقشع العذاب؟
تخيل.. أنت الآن هناك تقف بين يدي ندم وأسى على ما فرطت وحيرة واضطراب هل من مرد؟! أنت الآن هناك تـقـف بـين يدي ربك فيسيل جلدك على جانبيك ولحم وجهك من الخزي ..

يومها نـود أن نرجــع.. أن نـعــود.. نـعــود فنكفر بالذين يبدلون دين الله يحلون حرامه ويحرمون حلاله ، نعود فنفزع لتلك الدمـــاء تـسـيـل من الأمة الأمة التي تذبح ليل نهار مرات ومرات ، على مذابح الوطنية تارة ، والقومية تارات ، على مذابح الاشتراكية تارة ، والديمقراطية والعلمانية تارات ، وغير ذلك من المذابح كثير.
نتمنى يومها أن نعود.. وأنى لنا أن نعود ، وقد أخبرنا أنها إذا ولت لا تعود.
نعود! وقد كنا نضحك ملء الأفواه والله سبحانه وتعالى غضبان.
نعود! والله سبحانه وتعالى يغار على محارمه وسلطانه المغصوب! وكنا لا نغار.
نعود! والأرض كانت تئن، والسماوات يبكين والجبال تكاد تنهار من ظلم الإنسان،وجوره على ربه العزيز الجبار.
نعود! والقدس القابع خلف القضبان يبكي أمة قد كان لها مجد فأبت إلا الخذلان..
نعود! وقد كانت حرمات الله تصرخ فينا.. تصرخ أن كفوا بأس الطغيان .
نعود! كلا..! يأبى عدل الرحمن.
نداء.. نداء إلى الذين يتضاغون لغربة الإسلام.. أن اصبروا واثبتوا... فإن لقاء الله قريب.
ونداء إلى الذين يهملون ويضعفون ويميلون إلى خيانة الطريق ، أيضاً إن لقاء الله قريب.
ونداء أخير إلى الذين استحبوا الحياة الدنيا ورضوا واطمئنوا بها، أيضاً إن لقاء الله قريب.
وإن أجل الله لآت وما أنتم بمعجزين ، وإنما توفون أجوركم يوم القـيــــامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

وعاودني الحنين ..!!

عزيزة بنت عبد الرحمن النصار

كان مشهداً رائعاً من مشاهد الشتاء ، فالسماء ملبدة بالغيوم ، ووابل المطر يرسم على لوحة الأرض جداول تتدفق في أنهار المدينة، وحفيف الأشجار يملأ الكون بترانيم عذبة، آه..!! ما أروعك من مشهد!!.. قالها - باسل - وهو يتنهد من فرط الحزن، فقد نكأ ذلك المشهد - جرحاً قد اندمل منذ مدة - رضاء بقضاء الله وقدره.
ثم تابع يقول : رباه!! أَوَ أُحــرم أن أرى مـثـل هذا المشهد في قدسي؟ في خليلي؟ في منبع طفولتي ، ومهد أدراجي؟ إنَّ لهيب الشوق يتأجـج فـيَّ ، كـلـمـا طويت شريط ذكرياتي ، لأنعش ذاكرتي بمنظر سماء أرضي الصافية ، وأرضها التي كساهـا الـمـطـر حُـلة خضراء وأشجارهـا المصطفة على جوانب

الطرقات ، وعلى سفوح الجبال والهضاب ، كـم تاقـت مـسـامـعي لسماع حفيفها عند هبوب الرياح ، وشمَّ رائحتها مع نسيم الصباح ، والجلوس تحت ظلها بعد العناء.
توقف قـلـيـلاً ثم أردف يقول : رباه!! دخان التشرد يخنقني ، ومعول الغربة يقصمني ، رباه إ! إلى مـتـى سأظل هكذا؟! مدحوراً عني وطني؟ منبوذاً عن أرضي؟ بعيداً عن أهلي؟ تلاحقني الويلات فـي كل مكان ، وتعاودني الأنات في زمن الأحزان.
تعالت على وجهه علامات الثورة والغضب ؛ حين قال : إن إسلامي في أرضي يختفي - رويداً رويداً - خلف أستار الـعـذاب والتشرد والضياع ، فيخرج على مسرح بلادي أحفاد القردة والخنازير، لـيـمـثـلــوا دور البائس الفقير، الذي لا يملك المأوى وما له من ظهير، فيثيرون بمكرهم وخداعهم قلوب أناس مغفلين..
بيد أني أنتظر اليوم الـذي ترفـع فـيـه الـرايـة على تلال فلسطين ، فنعيد ذكرى حطين ، ونكون - فعلاً - أحفاداً لعمر وصلاح الدين.
فـلسطـيـن : إن حروفك تملأ الكون بصداها ، فيسمعها الكون كله ؛ لكن!! .. لا مجيب.

بريد القراء

0•الأخ عبد الله الحمد

أرسل توجيهاً للدعاة باكتشاف الطاقات وتوجيهها بما يلائم قدراتها إلى نفع المجتمعات الإسلامية.

0•الأخ فهد العدل

أرسل توجيهات حول البدع وتقليد اليهود والنصارى في بعض عاداتهم.
البيان : نشكر للأخ خواطره في الموضوع.

0•الأخ حمد على عبد الحميد

نشكر لك ملاحظاتك القيمة وسوف نستفيد منها إن شاء الله تعالى.

0•الأخ محمد صالح المحييد

أرسل توجيهات يؤكد فيها على دور الإعلاميين في معالجة قضايا المسلمين.

0•الأخ عبد الله التويجري

وصلتنا ملاحظاتك وهي محل عنايتنا.

0•الأخ سليمان العبيد

قصيدتك - لا تغيبي - غير ملائمة للنشر.

0•الأخ سعيد الأسمري

نعتذر عن نشر قصيدتك - لما غاب الحسام - لكثرة ما لدينا من الشعر وطول فترة انتظار النشر.

•0 الأخ محمد الفايز

وصل ما أرسلته لنا وشكراً على حرصك وثقتك.

•0 الأخ أبو عبد الرحمن أرسل مقترحاً:

- تخصيص صفحة للفتاوى الفقهية وخاصة التي تخص الدعاة وطلبة العلم.
- تخصيص موضوع عن طلب العلم والقراءات النافعة.
- الكتابة عن الصحوة الإسلامية في مصر.

•0 الأخ سحمي بن محمد العاصمي

كتب لنا عن أثر الإيمان الباطن في عمل الجوارح، لأن كل إناء بما فيه ينضح ، فمن الناس من يحفظ أنواع الرياضة وألفاظها التشجيعية وشعاراتها ، وهذا كل همه ، وبعضهم يحفظ أسماء الغناء والمغنين ، والشاب المسلم يجب أن يكون جاداً يحمل هموم الأمة.

•0 الأخ أبو سليمان

أرسل منتقداً على الأخ فهد أبو عمرو في مقاله (الطريق إلى الله) عدم ذكر مصدر ما كتبه وهو كتاب الشيخ محمد قطب (في النفس والمجتمع).

•0 الأخ خليل بن محمد الربدي

أرسل مقالاً قصيراً بعنوان (العاطفة وحدها لا تكفي) يقول فيها: »هل يقف دور المسلم عند سماع أخبار إخوانه بالحزن والإشفاق ، أم أن الواجب هو أن يدفعه هذا الحزن وذلك الإشفاق إلى العمل والحركة لنجدة إخوانه بكل ما يستطيع من جهد ومال ووقت؟.

الصفحة الأخيرة

الخير في الأمة الإسلامية لا ينقطع

عبد القادر حامد

قرأت عبارة أثلجت صدري ، وحركت مشاعر الفخر في نفسي عن التحديات التي تواجه المسيحية في العصر الحديث ، وأن انتشار الإسلام يأتي على رأسها ، وقلت : الحمد لله الذي تكفل بحفظ دينه، يخرج من الضعف قوة، ويرد كيد الباطل على الرغم من اجتهاد أهله في نشره وتمكينه.

إن الناظر في هذه الجيوش الجرارة من المبشرين والمتطوعين الرسميين وغير الرسميين لنشر المسيحية المحرفة في العالم الفقير ، والبلاد المنكوبة ليروعه؛ - أول وهلة - حرص هؤلاء وتصميمهم، حيث يستغلون كل شيء في

سبيل عقائدهم ، ويستثمرون الكوارث والنكبات، ويـتـاجــرون بمآسي الشـعـوب ليفتنوهم ، فيصاب المتأمل المتابع جهود التبشير تحت اسم منظمات الإغاثـة وغيرها من المنظمات التي تمهد أمامها الطرق ، وتفتح في وجهها الأبواب المغلقة، وتسند مـن السفارات والشركات ، والمتمولين النافذين.. يصاب بالرعب ، وقد يلفه اليأس وينفض يديه من كل جهد، اعـتـقـاداً مـنـه أن لن ينفـع شيء أمام قوة المال المتدفق والنفوذ العاتي ، والأفواه المفتوحة التي تنشد البقاء ، والبقاء فقط .

هـذا جانب مـن جــوانب الصورة القاتمة التي طالما ألحت على عقول المفكرين المسلمين في العصر الحديث، وتكاد الكتابات الإسلامية تطرقها يومياً وتتناولها بالندب والعويل.

ومع أن حقـيقـة الـجهـود المضاعفة للقضاء على الإسلام أو تشويهه في قلوب وعقول أهله قائمة ومستمرة ولم تتوقف أبداً؛ بل تشتد يوماً بعد يوم ؛ لكن هناك حقيقة أخرى أيضاً ، لا يحسن أن نغفل عنها ، ويشغلنا الندب والبكاء عنها ، وهي أن الإسلام - بحمد الله - يتقدم وينتشر، ويكتسب خبرة وتجربـة ، وأن جهــوداً تبذل ، وهي على قلتها - مقارنة بجهــود الكـفـر المعلنة والخفية والناعمة ، والقاسية الغليظة - يبارك الله فيها، وتـرســم الطريق لليائسين والقانطين، وتدعو الضعفاء والمشككين أن: دعوا اليأس والقنوط ، واخلعوا عنكم ثوب البكاء والتأسف، وضــرب الـكـف على الـكـف، فالـطـريـق سالـكـة ومسلوكة، والساحة الإسلامية - بل والعالمية - تستنجزكم الهبَّة ونفضَ النعاس عن عيونكم، والخدرَ عن عقولكم، والمسلمون خيرهم لا ينقطع، وتتفجر البركة من بين أيديهم ومن خلفهم ، من حيث لا يحتسبون ، ولا ينقصهم إلا شخصيات تكون موضع الثقة ، وجهات مؤتَمَنة تقوم بعمل الرائد الذي لا يكذب أهله.

فلنعمل جميعاً على البحث عن هذه الشخصيات ، وإقامة تلك الجهات ، ولنستمد العون على ذلك من الله ، من الله وحده.

تمت بعون الله والحمد لله
